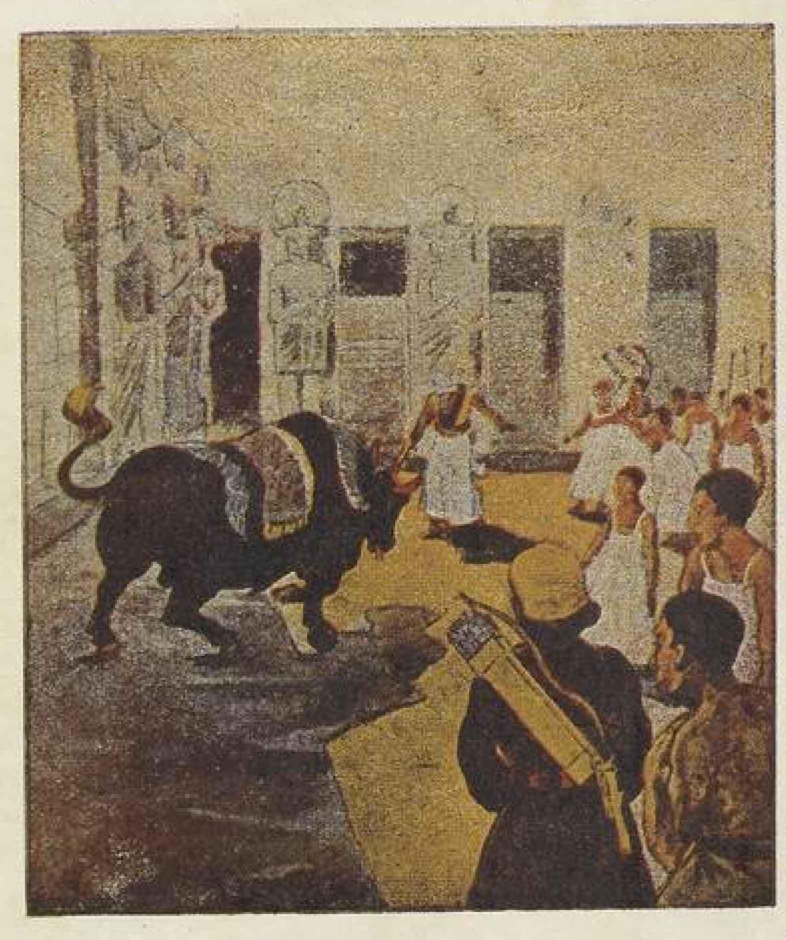
قمبيز

تأليف
احمد شوقي بك



Qambīz



تأليف

المرحوم أحمد شوقي بك

Ahmad Shawqi

مطبعة دار الكتب المصرية

١٩٤٦

إهـــداء

باسم حضرة صاحب السمو الملكى الأمير "فاروق" (*)
ولىّ عهد الدولة المصرية أحلى هذه الرواية وأسأل الله
أن يوفق الأمير الكريم كما وفق آباءه العالين إلى
النهضـة بالفنّ فى مصر حتى يعـود كما بدأ بتنمية
تاجها الفاخر وجوهرة عرشها المجيد ،،

أحمد شوقى

(*) أهديت إلى جلالته قبل ارتقاء جلالته عرش المملكة المصرية .

تمهيد

(١) زمن الرواية : القرن السادس قبل الميلاد .

(٢) مكان الرواية : مصر { منفيس : عاصمة مصر . / صا الحجر : مقر البلاط .

فارس سوس : عاصمة الفرس .

(٣) أشخاص الرواية :

أمازيس : فرعون مصر .

بسامتيك : ابن أمازيس وولى العهد .

نفريت : ابنة أمازيس .

نتيتاس : ابنة فرعون أبرياس المقتول .

قمبيز : ملك الفرس .

تاسو : حارس فرعون .

تتى : وصيفة الملكة نتيتاس .

فانيس : كان قائدا فى الجيش المصرى ثم التحق بالجيش الفارسى .

رجال الوفد الفارسى .

رجال البلاط الفرعونى .

قواد — جند : من الفرس .

ساحر — راقصات — أقزام — نوب — حجاب — خدم } مصريون .

الفصل الأوّل

المنظر الأوّل

« بالقرب من غرفة فرعون أمازيس الخاصة — »
« تاسو حارس فرعون — الأميرة نفريت ابنة الملك »

تاسو : نفريت ؟

نفريت : تاسو ها هنا ؟

تاسو : وهل أرى إلا هنا ؟
أحومُ حول صنمى وحول هذى القدَمِ

نفريت [وتنظر إلى رجلها] :
حول رجلى أنا ؟

تاسو : أجل حول هذا الشّهْدِ والزُّبْدِ والنميرِ الصافى
ما بكِ يا نفريتُ ما هذا الأسى ؟
ما بالُ عينيكِ تريدانِ البكا ؟

نفريت : تسألنى ما بى ألم تعلم بما
جرى ويجرى من فجائع القضا

تاسو : ماذا جرى ؟ ماذا لقيتِ ملكتى
من القضاء؟ مُهْجتى لكِ الفِدا
نفريت : كيف لقد كان حسابى أننا بخطْبَة الفُرْسِ تحطّمنا معا
تاسو : إذن فهذا الغمّ من جرّائها
وأنتِ تخشَيْنَ الرحيلَ والنوى
نفريت : وأنتَ يا تاسو ألم تحزنْ ؟
تاسو : أنا ! أحزنُ يا سلطانةَ الفُرْس أنا؟
لقد ودِدْتُ لو ملكتِ كلَّ ما
دبَّ على الأرض وطار فى السما
نفريت : وفُرْقتى تاسو ألم تحزنْ لها؟
تاسو : ولِمْ وفى الفرس يكون الملتقى
نفريت : فى فارسٍ ! فى قصر زوجى نلتقى !
يا عجبا ماذا تقولُ يا فتى؟
تاسو : لِمَ لا أليس فى القصورِ سَعَةَ ؟ نحن هناكَ مثلُ ما نحن هنا
نفريت : هذا الغباءُ منكَ تاسو عجبٌ ليس المكانان على حدٍ سوا

هنا أبى إذا بكَيْتُ رقَّ لى وإن شفعتُ لكَ عنده عفا

تاسو : وثمَّ ؟

نفريت : وحشٌ فى إهاب بَشَـرٍ يَقْتُـلُ من يَلْقَ

تاسو : أمون نجنا !

وماذا اعتزمت ؟

نفريت : اعتزمتُ البقاء بمصر وفى ظلّ هذى الحُجَرْ

وبالقُرْب منكَ ومن والدىَّ ومن إخوتى وذوىَّ الأُخر

وبين وصيفاتىَ المُشْفِقاتِ ومن لاذ بى من بنات الأُسر

تاسو : ولكن تُرى كيف تجرى الأمورُ اذا علمتْ فارسٌ بالخبر

وقيل لقمبيزَ فرعونُ خالَـفَ وابنـةُ فرعونَ لم تأتمر

نفريت : ليجر بما شاء تاسو القضاء ليجر بما شاء تاسو القَدَر

لتُخْسَفَ بقوم عليها البلادُ ليستأخرِ النيـلُ أو ينفجِرْ !

فأما أنا فسأبقى هنا وإن غَضِبَتْ فارسٌ والنمِرْ

فما الفرسُ لى بالصحاب الكرام

ولا لىَ فى مُلْكهم من وَتَـرْ

[تدخل الأميرة نتيتاس]

نفريت : من المُفاجى (نتيتا) ؟

نتيتاس : نفريتُ تاسو سلامُ

نفريتُ أصغى لقولى فلى إليك كلامُ

نفريت : تكلمى واقتصدى

نتيتاس : ولم أزل مقتصده

نفريت : أتيتنى شامتةً

نتيتاس : لا بل أتيتُ مُسْعِدَه

آمون قد مدّ إليـ ـك والى الوادى يده

وقد كفى مصرَ البلا ء والخطوبَ المُرْعِدَه

وكفَّ عن ربوعنا نارَ المجوس الموقَدَه

نفريت : وكيف نتيتاسُ ماذا ما الخَبرْ ؟

كيف جرى غيرَ مجاريه القدَرْ ؟

تاسو : ما الأمر يا سيدتى !

نتيتاس : وأىُّ شأنٍ فيه لكْ

إن الذى عندىَ لا يُقال إلا للملكْ

نفريت : عجّلي إذن . قابلي أبي . أسرعي الخطى . اذهبي اذهبي
واسأليه ما . شئتِ واطلبي

نتيتاس : ما ذاك ما ذا تقولين فكّري يا نفرتُ
ما جئتُ أطلبُ مالاً ولا لهذا حضرتُ
ولا بشأنك يا بنتَ آمازيس افتكرتُ

نفريت : ففيمَ إذن جئتِ يانتيتاسُ وفي أي شأن نقلتِ القَدَمْ؟

نتيتاس : أتيتُ لمصلحة الآخرين وجئتُ لشأنٍ جليل العِظَمْ
أتيتُ لأفدي بنفسي البلادَ وأدفعَ عن مصرَ شرَّ العجمْ
فإنكِ ان ترفضي يزحفوا كزحفِ الذئاب ونحن الغَنَمْ
فأين أبوك ؟

نفريت : تلاقينَهُ هنالك في حجرات الصَّنَمْ

نتيتاس : سأمضي إليه

نفريت [بتهكم] : اذهبي

نتيتاس : آفدي البلادَ نعم أنا أفدي بلادي نعم

[تخرج]

نفريت : يا ويحها قد ذهبتْ دعنىَ تاسو واذهب

[يخرج تاسو] :

« يدخل فرعون الى غرفته الخاصة وهى حجرة صغيرة أرضيتها من الخشب »
« الملون وفيها بضعة كراسى خفيفة الوزن لطيفة الصنع وفى زواياها الأربع »
« تماثيل للآلهة المصرية ، فرعون أمازيس وابنته نفريت مقبلة عليه »

نفريت : سلامٌ ياضُحى الشمس ويا غُرّةَ آبيس
ويا حامىَ سايس ويا حارسَ منفيس

فرعون : سلامٌ شبهَ هاتور سلامٌ شبهَ إزيس

نفريت : أبى بل نادنى يا بنـ تَ فرعونَ أمازيس

فرعون : تعالَىْ أقبلى يا بنـ تَ فرعونَ أمازيس
وفى أىّ جايل أو صغير يا تُرى جئت
تعالَىْ يا بُنَيّتى قولى سَلى فرعون ما شئت

نفريت : أبى كُنْ لى فقد أظلـ ـمت الدنيا بعينيّا

فرعون : سأجلو ظُلمةَ الدنيا وأمحوها بكفيّا

[تغرورق عيناها بالدموع]

بُنيّتاه

نفريت : ربّاه أبى

فرعون : ما للأميرة باكيه ؟

هَلّا ٱدّخرتِ لمصْرعى هذى الدموع الغاليَه

نفريت : لا بل تعيشُ أبى وتبْ قَى فى ظِلالِ العافيه

أبَتِ تهيّأ كلُّ شى ءٍ للنَّوى المُترامِيَه

فغدًا تضُمنىَ القصو رُ بل القبورُ الجافيه

فى ألفِ جاريةٍ لقمْ بيزٍ هناكَ وجاريه

من كل مُرسَلةٍ هنا لكَ كالبهيمةِ ساليه

فبأىِّ قلبٍ يا مليـ كُ تزُفُّنى للطاغيَهْ

أدرِكْ فتاتك قد ضعُفـ تُ عن احتمالِ الداهيه

[تدخل نتيتاس على فرعون أمازيس فتخرج نفريت]

فرعون : مَن أرى ؟ إنه لحظٌّ عظيمٌ نتتاس بنت الفراعين عندى

نتيتاس : التَّحايا لعرشِ مصرَ المُفدّى من أبى ساكنِ السماءِ وجدّى

فرعون : وسلامٌ الذى على عرشِ مصرَ لا تؤدينه ؟

نتيتاس : وكيف أؤدّى ؟

ليس بينَ ابنَةٍ وساقِ أبيها غصةُ الموتِ من سلامٍ وردِّ

إن حقدى عليك دينٌ وبِرٌ ربِّ لا يَذْهبِ العقوقُ بحقدِى

فرعون : احملي الحقدَ لي أو اطّرحيه وتمنّيْ عليّ جاهي ورفدي
اسألي تسألي أباك

نتيتاس : معاذ الـ ـد مِ فرعونُ ليس دنياك قصدي

فرعون : فيمَ قد جئتني إذن ؟

نتيتاس : في حقوقٍ لديارى وواجبٍ نحو مهدى
كلُّ عامٍ صبيةٌ من بنات الـ ـشـ ـعب
تختارُ للفداء فتفدي
تنزلُ النيلَ غيرَ عائفةٍ ما فيه للموتِ من حياضٍ وورد
سمحتْ بالحياةِ في غيرِ سأمٍ
وسخَتْ بالشباب في غيرِ زُهدِ
تبتغي الخصبَ والرخاءَ وتحتا لُ لعيشٍ بنعمةِ النيلِ رغدِ
سقتِ الناسَ بعدها لم تقُلْ قو لَ الأناني : يهلكُ الناسُ بعدي

فرعون : قد عرفنا فهل تريدينَ منا أن تكوني التي تُزَف وتُهدى

نتيتاس : تلك مدفوعةٌ يقدّمها الكُـ ـهّـ ـانُ
لكنني تقدّمتُ وحدي

[مستدرة] : جئتُ أفدى وطنى من   سيف قمبيزَ ونارِه

جئتُ أفدى وطنى من   دَنَس الفتح وعاره

فرعون : ما ذا تقولين فيمَ جئتِ ؟   قمبيز؟ الفتحُ؟ مصر؟ فارسْ؟

نتيتاس : نفريتُ تأبى المسيرَ هب لى   مكانها منك يا أمازسْ

فرعون : أنتِ التى تذهبين ؟

نتيتاس : لم لا ؟

فرعون :   هذا هو النُبلُ يا نتاتِسْ

بَخٍ بَخٍ بنتَ أخى

نتيتاس [فى استنكار] :   أنتَ يا قاتِلَ عمّى ؟ ؟

لا ... أبِى . يأبَى وأمّى

فرعون : لا تدفعى نَيتَ بى   ولا تَهيجى غضَبى

نتيتاس [كالمستهزئة] :   تقتلُنى مثلَ أبى!

[تظهر نفريت بالباب]

فرعون : من ذا أرى؟ نفريت، هيا ادخلى   لا تقف الأقمارُ بالبابِ

نفريت : تحيةُ الشمسِ لسارع أبى   تحيةُ المعبودِ آمونِ

فرعون : أَتيتِ لِوَفْقِ الأمرِ نفريتُ أقبلى
تعالَىْ أنبئْكِ الجليلَ تعالِى

نفريت : أبى لا جليلَ اليوم إلا مُصيبتى
فرعون : ولكنها قد آذنتْ بزوال

نفريت : وكيف وأنَّى ؟

فرعون : انظرى مَنْ بمجلسى وأىُّ رسولٍ للسماءِ حيالِى
إلهٌ لعَمرى فى قميص أميرةٍ سعى لك يحبو عونَه وسعى لى

نفريت : نتيتسُ أختى ؟

نتيتاس [لنفسها] : أُختُوَها ما أضلَّها متى كان بيتى مجرمينَ وآلِى

نفريت [لأبيها بعد أن سمعت نجواها] :
أبى ألهذا يجمعُ اليومَ بيننا وما لابْنَةِ المَلْكِ القديم ومالِى

فرعون : لقد بعثتْها الشمسُ من عرشِ مجدِها
شعاعَ هدى من حَيرةٍ وضلالِ
تزُفُّ إلى قمبيزَ فى موضع ابنتى
وفى موكبٍ من وَفدِه ورجالى

تفريت : نتيتاس

فرعون : قولى بنتَ فرعون

نتيتاس : أعفِها

تفريت : ولِمْ

نتيتاس : ذاك عهدٌ يا أميرةُ خالى

فلا يستوِى المُلكُ القشيبُ جلالُه

وآخرُ مخلوعُ الجلالةِ بالى

تفريت : أحقٌّ نتيتا ما رَوَى المَلِكُ

نتيتاس : ما روَى أبوك صدَى صوتى ورجْعُ مقالى

تفريت : رويدًا نتيتاَ راجعى الرشدَ إنّما

تُضحّين يا أختِى بأنفسِ غالى

تُضحّين بالدنيا الجميلةِ والصِّبا وهذا الفضاءِ السافرِ المُتَلالى

أحقٌّ عقدتِ العزمَ ؟

نتيتاس : بعد رويّةٍ وأقنعتُ نفسى بعدَ طول نضال

ومالى لا أعطِى الحياة إذا دعتْ بلادى ، حياتى للبلادِ ومالِى

المنظر الثانى

«حجرة عظيمة فى قصر فرعون — وفد من الفرس ينتظر رسول «الملك أمازيس ، هنا وهناك فى الحجرة نفر من حاشية فرعون»

رئيس الوفد : لقد جُلتُم فى بلدةِ العجلِ جَوْلةً

وما بَرِحتْ بالزائرينَ تُجابُ

فكيف وجدتم قوم فرعون ؟

قباذ : أمةٌ

إذا هىَ قيستْ بالشعوب عُجابُ

لهم مثَل ما للأُسدِ بالجنسِ عِزَّةٌ

ضوارى الفلا عندَ الأسودِ كلابُ

هُم الشُهْبُ والناسُ الجنادلُ والحصى

وتِبرُ الثَّرى والعالَمُون تُرَابُ

وكلُّ الذى صاغوا منَ الفنّ آيةٌ

وكلُّ الذى قالوا هُدًى وصَوابُ

الرئيس : خطبْنا اليهم أَمِيس بنتَ مليكهم
فما كان إلا الاحتقارَ جوابُ
وأشفق أهلوها وقالوا حمامةٌ
دعاها الى الوَكْرِ السحيقِ عُقابُ
[ثم يعرض ببصره رجال القصر من المصريين]
تأمّل (قباذُ) القومَ وانظروجوهَهم
وجوهٌ عليها للهموم سَحابُ
ألستَ تراهُم كلّما نقلوا الخُطى
لهم جيئةٌ من ريبةٍ وذهابُ
قباذ : ولكنهم ما قصّروا عن ضيافة
طعامٌ ونُزْلٌ طيّبٌ وشرابُ
وخمرٌ فنيقٌ بأيدى سُقاتها لها نفحةٌ مسكيّةٌ وحُبابُ
وماذا علينا أن تضيقَ وجوهُهم
إذا لم تَضِق ساحٌ لهم ورحابُ
«وعلى أثر ذلك يخاطب رجل آخر من الوفد صديقا له»
«فى ناحية أخرى من الحجرة وكان عائدا هو أيضا من المدينة»

الرجل : زفيروس، من أينَ ؟

زفيروس : من جولة بمنفيس

الأوّل : كيف وجدت البلدْ ؟

وكيف احتقارهمُ للغريبِ إذا قام فى شأنه أو قعد

وكيف عيونهمُ حولَه إذا حملَته احتمالَ الرمد

زفيروس : وجدتُ وجوهًا عليها النعيمُ ودُنيا على جانبيْها الرَّغدْ

وسُوقًا تفض وسوقا تُقامُ وخلقًا يروحُ وخلقًا يفد

وشعبًا على خُطةٍ فى الحياة ونظْمٍ به فى الشعوبِ انفرد

ولم أرَ مثلَ صناعاتِهم سُمُوًّا وبُعدًا على المنتقِد

ولا مثلَ أخلاقِهم مبلغًا من الفضل أو من خلالِ الرَّشَد

إذا مرَّ يافعهم فى الطريق بشيخٍ تنحَّى له أو سجدْ

الأوّل : تباركتَ النارُ. كانَ المديحَ لمصرَ جزافًا ولم تقتصِدْ

زفيروس : أخى ما الذى أنت ناعٍ علىَّ وما قلتُ إلا الذى أعتقد

الأوّل [مؤنبا] :

لقد سحرتْ مصرُ الفارسىَّ ويا طالما نفثتْ فى العُقَد

ولكن زفيروس كيف الجنودُ
وكيف الحديدُ وكيف الزَّرَدْ
وهل كنتَ تلقاهُمُ فى الطريق
وتنظُرُ أظفارَهم واللِّبَدْ

زفيروس : أخى ما رأيتُ بمصرَ الجنودَ ولم يأخذِ العينَ منهم أحد
سوى فتيةٍ من جنود القصورِ وضباطِها فى الثياب الجُدُدْ
يروحونَ فى الخُوَذِ اللامعات
ويغدون فى الذهبِ المتَّقِدْ

الأول : إذن هو مُلكٌ بلا حائطٍ رقيقُ الأواسى ضعيفُ العَمَد
خلا الوكرُ من صرخات العُقاب
ونامت عن الغابِ عينُ الأسدْ
أولئك لا فى حماةِ الديارِ ولا فى العديد ولا فى العُدَدْ
طواويس فى عرصاتِ القصورِ
تروقُ تهاويلُها من شَهِد
ولا يُعجبنّك سلمٌ يرفُّ وخيرٌ يفيضُ ومالٌ لُبَدْ

وآثارُ فنٍّ تروعُ العقولَ وأجسادُ موتى تعيشُ الأبد
فما أنتَ راءٍ سوى جنةٍ هى الخُلْدُ أو طيفُه فى الخلد
يهُبُّ عليها غدًا عاصفٌ من الفرسِ أنّى تمشّى حصدْ

ثالث متدخلا: صدقتَ أخا الفُرسِ قلتَ الصواب
غدًا يعصفُ الفُرسُ أو بعد غدْ

أحدهم لآخر: أعلمتمُ ماذا يُرَدَّدُ فى القصـ ـرِ وماذا يقالُ همسًا ووحْيًا

الثانى : مايقولون هاتِ قلْ

آخر : كيف صِدتَ الـ ـسِّرَّ فى القصر كيف صدتَ النّجيا
هاتِ قل ما بأرضِ مصرَ عجيبٌ
مصرُ دنيا وسائرُ الأرضِ دُنيا

الأول : هم يقولون إن بنتَ أمازيـ
ـسَ عروسَ المليك تأبى المُضيّا

الثانى : هازلٌ أنتَ ؟

الأول : بل سمعتُ حديثًا إن يكُن مُفترى فماذا عليّا؟

آخر : إنه يهـذى دعوهُ كاذبٌ لا تسمعوه
ما الذى زخرف

الثالث : ألـق ِكذبةَ الأجيال فـوهُ

يزعـم المـلكـة نفـريـ ـت ابنـةَ الملكِ أمازسْ

ترفُضُ السيرَ مـع الوفـ ـدِ إلى أقطـارِ فارسْ

آخـر : ما خطبُـه ما يـدّعى امض بنـا لا تسـمعِ

آخر يقول: فـرعـونُ مِصـرَا لـم يرض قمبيزِ صِهْـرا

الثانى : مَنْ أمازيس ما الأميرةُ ما مصـ

ـرُ أفى الأرض من بقمبيزَ يهزا

آخـر : أهــذا خـبرٌ يُروى غَـبىٌّ أنـتَ واللّــه

أتحتَ القُبــةِ الـزرقا ءِ مَن يسخَرُ بالشاهِ

الأول : اعــزبوا ما لــكم ولى قلّلُـوا الشـتمَ والسَّخَرْ

ما الذى قــد أتيتُــه؟ ناقلُ الكفرِ ما كفرْ!

خـبرٌ قيــلَ قـد يصـ ـحُّ وقــد يكذِب الخَبرْ

أحدهم : يا صحبُ كيف تُرى تقضون ليلَكُمُ

وكيف نومُكمُ فى هـذه الدار

آخــر : أمّا أنا فإذا استلقيتُ طوّفَ بى
شتّى الخيالاتِ من سحرٍ وسحّارِ
وأنت ؟

الأوّل : يغشى الكرى عينى فيصرفُهُ
عنها خيالُ تماسيحٍ وأثوار
من التّوابيتِ حولى كلُّ منتقلٍ
بغير رجلٍ ولا ساقينِ دوّار
يُجيلُ من خلفِها الأمواتُ أعينَهم
كأنها فى الدُّجَى أحداقُ أنمارِ
ولا تزال بىَ الأرواحُ طائفةً مناجياتٍ بألغازٍ وأسرارِ

آخــر : أمّا أنا فإذا ما جئتُ مُضطجعى
عوّزتُ نفسى قبلَ النوم بالنارِ
فلا يطوفُ من الأرواحِ بى شَبَحٌ
من خَيِّرينَ وإن جلّوا وأشرار

آخــر : هيّا اسمعوا ما رأيتُ أمس

آخر : ما ذاك ؟

الأول : صَهْ تكلَّموا بهمسِ

رأيتُ عصفوراً برأسِ إنسِ أقبلَ حتى صار عند رأسِي

فما ملكتُ عندَ ذاك حسِّي

آخر : ثُمَّ ؟

الأول : صحوتُ فوجدتُ نفسِي منطرحا أغط فوقَ كرسِي

آخر : وأنا :

ثان : أنتَ ما رأيتَ ؟

الأول : أعجَبَا مما رأى صاحبكُم وأغربَا

رأيتُ أبيسَ أتى مضاجعى فهزَّها بقرنهِ وقلَّبَا

ثم رأيتُ

الثانى : ما رأيتُ ؟

الأول : حدقا تَقلَّبَتْ فى الليل تحكِي اللَّهبَا

آخر : ثُمَّ ؟

الأول : وقال العجل أنتم فارسٌ ؟ قلتُ نعم . فقال لى لا مرحباً

آخر في دهشة: يا عجبا العجلُ قد كلّمه يا عجبا

[يدخل تاسو حارس فرعون] :

تاسو : أيها الوفدُ سلامٌ لكُمُ بنتُ فرعونَ ستأتى بعدَ حينْ
نتلقّاكم بما يزكو بكم من تحايا وتجيبُ الخاطبينْ

رئيس الوفد: أيها السّيد تاسو أذنُ منا مرحبا بكْ
غِبتَ عنا زمنًا حتى اغتمَمْنا لغيابِكْ
لم تَسَلْ عنا ولم تبعثْ رسولًا من صِحابِكْ

تاسو : يا كبير الوفد هذا العطفُ قد أثّرَ فيّا
أنتَ لا تجهلُ مِن أنظمةِ الدّيوانِ شيّا
شرفُ الخدمةِ لا يجعلُ وقتى بيديّا

فارس [لآخر بصوت منخفض] :
تاسُو ؟! ومن تاسُو؟

الآخر : فتًى فى القصرِ مرموقٌ جميلْ
ندمان فرعونَ وصاحبه وحارسُه النبيلْ
ويميلُ فرعونٌ إليهِ وبنتُه أيضًا تميلْ

[حارسان يدخلان فيصيح أحدهما] :

الأول : الملْكُ فرعونُ سارعْ

الثانى يردد : الملْكُ فرعونُ سارعْ

« يدخل الملك والأميرة نيتاس وكبار الكهنة »
« المصريين فيجلس الملك والأميرة ويقف تاسو »
« وراء الملك ، فينهض رئيس الوفد ويقول »

رئيس الوفد [إلى فرعون] :

بركاتُ السماءِ فرعونَ مصرَا
وسلامٌ من عاهلِ الأرض كسرى
رُسلُ قمبيزَ نحن لم نألُ إحسا
نَكَ يوماً ولا اهتمامَك شكرَا
قد خطبْنَا إليكَ زنبقَةَ الوا
دِى وأعْلَى عقائلِ النيلِ قدرَا
نحمِلُ الشامَ إن أردتَ صداقاً
ونسوقُ العراقَ إن شئْتَ مَهْرَا
ونُزجِّى الكنوزَ من قيِّمِ اليا
قوتِ والدُّرِّ والزمُرُّدِ تترَى

إنها فارسٌ وإنا لنرجو
أن سترضى بها حليفاً وصهراً

فرعون أمازيس [إلى تاسو] :
قُمْ أجِبْ عنِّى الدهاقينَ تاسُو

تاسو : سيدى من أكونُ ! مولاىَ . عُذْرا

نيتاس : أبَتِ أعْفِهِ

ثم إلى تاسو : مكانكَ تاسُو أنا بالفصل فى مصيرى أحْرَى

نيتاس [إلى الوفد الفارسى] :

مرحبًا وفدَ فارسٍ رسْلَ قمبيزَ مرحبَا
قد تأخرتُ عنكُمُ وأطلتُ التحجُّبَا
ونهانى مُطَبِّبى فسمعت المطبِّبَا
خبَّأونى لوعْكَةٍ ومن البردِ يُحْتَبَا
لم يرَ الناسُ صاحبًا كالعوافى مُحَبَّبَا

رئيس الوفد : اشكرى اللهَ يابْنَتِى واذكرى فضلَ ما حبَا
كم سألنا بجاءنا بالذى طمأن النبَا

أمازيس [إلى تاسو بصوت منخفض] :

مالَهَا تاسُ أطنَبتْ ولذا الشيخ أطنبَا
تركا خِطبةَ الزَّوا ج وقامَا ليخطُبَا

نتيتاس [بصوت منخفض وقد سمعت ما دار بينهما] :

ما الذى ساء والدِى من كلامى وأغضبَا
ما لِفرعونَ ساخطًا ولِتاسُو مُقطِّبَا

فرعون [بصوت منخفض] :

اجْعلِى القصد يا بنَتِى لكِ فى القولِ مذهبَا

نتيتاس للوفد : قد دعوتم أبى لِمَا يرفعُ البنتَ والأَبَا
إن فرعونَ كوكبٌ صاهرَ اليومَ كوكبَا
اذكرُوا لى مُقامكم أتُرى كان طيِّبَا
أيها الوفدُ قلّمَا صاهرتْ مِصرُ أجْنَبَا
مرحبًا وفدَ فارسٍ

الملك [بصوت منخفض] : شَبِعَ الوفدُ مرحبَا

نتيتاس : أنا إن عشتُ شِدتُ لِلـ ـدارِ بيتًا مطنَّبَا
فى عيونِ الوهادِ مِنْ فارسٍ أو على الرُّبَا

كلما لاحَ ضوءُه هزّتِ الأرضُ مَنكِبَا

رئيس الوفد : هلمّى باركى يا نارْ على بنتِ الفراعين

ويا فارسُ هاتوا الغارْ وجيئوا بالرياحين

وحيُّوا زوجةَ الجبّارْ على كلّ السلاطين

[وينثر الفرس الرياحين على الأميرة نتيتاس وهم يتغنون] :

الكهنة المصريون يتغنون :

آمونُ قم شاركْ فرعونَ فى العُرس

تعالَ طُف باركْ فى ملكةِ الفُرس

* * *

نحِّ الشياطينَ وانفِ العفاريتَ

واحرسْ بعينيك موكبَ نفريتَ

* * *

آمونُ هىّ اشترِكْ فى عُرسِ بنتِ الملِكْ

وقُم اليها كلّلْ براحتيكَ راسَها

واشهد بمصرَ واجتلِ بفارسٍ أعراسَها

« ستار »

المنظـــر الثـالث

« بهو عظيم من القصر زين بالمصابيح البديعة الألوان المصنوعة من ورق »
« البردى وأغصان الزيتـون ، وصففت الأزهار ... والرياحين هنا »
« وهناك . وفى ناحية من البهو جوقة العزف من حاملات القيثارة ، »
« والعود ، والناى ، والدف . يموج المكان بأعضاء الوفد الفارسى »
« فى ملابسهم الفارسـية الفاخرة وبرجال الحاشـية وخدم القصر من »
« الحرس والكهنة كبارهم وصغارهم وفتيات النوبيين ، وقد وقف قهرمان »
« القصر يصرف الوصفاء والنـدل ويسخرهم فى شؤون الوليمة . وقد »
« مدت الموائد الفخمة وجعلت عليها ألوان الطعام المختلفة من خراف »
« مشوية وباردة وبط صيد ، ومن سمك النيل ، ومن الحلوى بأنواعها ، »
« وسلال الفاكهة . ووضعت هنا وهناك أباريق الذهب والفضـة »
« المملوءة من عتيق الخمر . يجلس على المائدة فرعون أمازيس وبجانبيه »
« وأمامه كبار رجال الوفد الفارسى وعظماء رجال الكهنوت والدولة . »
« وينتشر الآخرون على جنبات المائدة يتحادثون جماعات جماعات »

فارسى [لصاحبه] :

فيروزُ . أنظر ترى الخرافا   حُمْرًا لطافًا على الخِوانِ
ذا سمكُ النيلِ فى الأوانِى   كأنه مِعصَمُ الغـوانى
وأعينٌ تلك فى جُفـونٍ   أم ذلك البَطُّ فى الجفانِ

فيروز : ذكرتَ كلّا ولم تُرحّبْ بخمرِ ساموسَ فى الدنانِ
وخمرِ فينيقيا المصفَّى كأنه ريقةُ الحسانِ
فيروز : وخمرِ مصرٍ فى قصرِ فرعو نَ
ثالث : تلك مجهولةُ المكانِ
الأول : فيروزُ ، دَعْني خلّنى الخمرُ ليستْ دَيْدَنِى
من خمرِ آتينا وسا موسٍ ومصرَ أعْفِنِي
الأكلُ يا فيروزُ شغ لى وبه تفنُّنِي
تشربُ والبطنُ خلِي ! يا لكَ من مُغفَّلِ !
كُلْ هَنْءَ يا فيروزُ كُلْ
هـذا الخوان قد كَمَلْ من كل جانبٍ حَمَلْ
هـذا شُوِى هذا قُلِي
والبَط فى الأطباقِ بطبط فى الرقاقِ
من رأسـهِ للارجلِ
ثالث : وهـذه الإوَزّ رجْراجَةٌ تهتزّ
قد طُيِّبت بالتابِلِ

نيروز [للأول] :

أخى كلانا قد صدَقْ فما لنا لا نتَّفِقْ
آكلُ ماتأ كلُ من طعامٍ وتحتَسِى معًا من المُدام

الثالث : هذا لعَمرى مُحكَمُ الكلامِ

فرعون [الى رئيس الوفد] :

سيدى لو تقولُ لى كيفَ قمبيزُ والقدَحْ

الرئيس : إن قمبيزَ سيدى ملِكٌ كله مَرَحْ
ليس تخلُو قصورُه من سرورٍ ومن فرَحْ

فارس آخر : لكن له شُغلٌ عن الـ خمرِ بطُولِ غَزوتهْ

فرعون : أينَ تُرى يشربُها

الفارسى : يشربها فى خوذتهِ
كعبدهِ ابنِ أمَتِهْ

« ويخلع الفارسى خوذته ويصب فيها خمرا ويشرب »
« بعض صغار رجال الوفد الفارسى يتحادثون فيما بينهم »

أحدهم :

ليتَ شعرى فلستُ أدرى الى أى بلاء قمبيزُ يدفَعُ فارسْ

قد فتحنا الفضاء شرقاً وغرباً وملكناه من عُبابٍ ويابس
اتسعنا من الفتوح

آخر: يقيناً غيرَ أنّا لم نفتكر بالحارس
خَلِّ «مانى» عنك السياسة دَعْهَا
خَلِّ عنك الفضولَ خَلِّ الوساوسْ

إن شرق البلاد ضيعةُ قمبيـ ـزوغربَ البلادِ حقلُ أمازسْ
سائسُ العالمين أسعدُ منه رجلٌ للحمار والبغل سائسْ

ثالث: انظر الحفلَ «بهارٌ» استخفّته الكؤوسْ

رابع: وفدُ قمبيزَ وهذا ملكُ مصرِ أمازيسْ
ذهبُ الأرضِ عليهم غَرِقَتْ فيه الطقوسْ
ساسةُ الدنيا وكلٌّ غيرَهم فيها مَسوسْ

الثانى: خَلِّنا بالله من سا سَ ودعْنا من يسوس
لم تَظَلَّ الدهرَ مَرءو سينَ والغيرُ الرئيس
لِمَ «مانى» لا أنا رذْ لٌ ولا أنتَ خسيس

الأول: كلُّ ما أعجبَ كسرَى فهو فى الفُرسِ نفيسْ

كلَّ حينٍ حاكمٌ يمـ ـشى علينا ويدوس
هكذا يختلفُ الحـ ـظُّ سعودٌ ونحوس
إنَّ بعضَ الناسِ أذنا بٌ لبعض هُم رؤوس
منزلُ الأسدِ الصحارَى وعلى المرْعَى التيوس

الأول : لِمَ يا « مانى » يسُودُو ن ونبقى لا نسود
ونُقادُ الدهرَ والأخـ ـرَ يا « مانى » يقود

آخر : يا أخى نحنُ كلانا عاجِزُ الرأيِ بليد
هذه الدنيا لِمَنْ يُقدِمُ فيها أو يُرِيد
سنّةُ الكونِ وما عن سنّةِ الكونِ مَحِيد

آخر : أنا يا « مانى » طموحٌ أنا لا أكتُمُ عنكَا
أنا فى الدنيا وفى زينتها أرغبُ منكَا
أنا أهوَى سَعةَ العيـ ـش ولا أرضاهُ ضَنْكَا

الأول : إرْضَ بما كانَ وما يكونُ أو فانْفَلِق
وهىَ نشربْ قَدَحَيْـ ـنِ أو فَهَيَّ انطلِق

أحدهم : القدَحَا . القدَحا الخمرُ تنفى الترَحَا

قصراً أرى أم فلكا وشجراً أم قزحا (*)
وغادةً تسق إِم الـ ظبية أم شمس الضحى
وخوذا على رؤو س فارس أم الرحى
القدحا القدحا هاتوا الشعاعَ المفرحا
هاتِ السنا هاتِ القبس هاتِ الشذا هاتِ النفس
هاتِ سراجَ المهرجا نِ هاتِ شمعة العُرُس
هاتِ ابنةَ الشعاعِ والـ ظلِّ ابنةَ العذبِ السلس

أحدهم [رئيس الوفد] :

مولاى ألقِ السمـ ـعَ وابعثِ النظر
ماذا ترى ؟

الرئيس : أرى « بهاراً » قد سكر

الأول : فتاكَ غنيٌّ و فتاى قد شعر

الرئيس : وما الذى ضرّ ؟

الأول : صدقتَ لا ضرر

(*) قالوا : إن قزح لا يفصل من قوس ، ولكن الناظم لم ير بأساً فى فصله لسهولته وكفاية دلالته .



نيتاس [الى نفريت أمام فرعون أمازيس] :

ومالى لا أعطى الحياة اذا دعت بلادى : حياتى للبلاد ومالى

الرئيس : ونحنُ ما نصنعُ ؟

الأول : شُربٌ وسَمرْ

الرئيس : ونحنُ أيضًا بَشَرٌ وهُم بشَرْ

فليشربوا من ها هنا إلى السَّحرْ

أحد الشبان : رئيسَ الوفدِ لا زلتَ لما يرفعُ تختارُ

ولا ساواكَ دهقانٌ ولا داناكَ أسوارُ

وغالَى بكَ قمبيزٌ وحلّت جسمَكَ النّارُ

« يدخل وصيف من وصفاء القصر و بيده مومياء من الذهب »

« يعرضها على الضيفان ، ووراءه رجل يقول و يكرر ... »

المُوميَا طُوفُوا بها واتّعِظوا بخطْبِهَا

لا تسألوا ما هي مَنْ ؟ نكرَها طولُ الزّمنْ

هيَّا كلوا هيّا اشربوا هيَّا اسمعوا هيَّا اطربُوا

تمتّعُوا بالفانيهْ قبلَ الحياة الثانيَهْ

خُذوا المُدامَ الصّافِيهْ قبلَ انكسارِ الآنيهْ

فارسي لآخر : خورشيدُ هذا هو البلاءُ كلُّ أحاديثِهم فناء

خورشيد : روايةُ الموت حيث راحوا وقصةُ الموت حيث جاءُوا

[يقترب تاسو من نتيتاس فى ناحية أخرى من البهو و يقول]

تاسو : نتيتاسُ ألَا كاسُ ألَا شكوى ألا عَتْبُ
أيُنْسَى فى سُويعاتٍ ويُطوَى ذلكَ الحُبُّ

نتيتاس : دع الحبَّ فلم يُخلق له من لا له قلبُ

تاسو : وما ذنبى ؟

نتيتاس : لقد أحسدتَ لكن لى أنا الذنبُ
أنا أحبَبْتُ عابثًا سادِرَ القلب جافيًا
يَعشَقُ الجاهَ والغِنَى لا يحبُّ الغَوانِيَا

[مستمرة] :

أنتَ كالنعمةِ من قصرٍ لقصرِ
أنت كالنحلةِ من زَهرٍ لزَهرِ

[مستمرة] :

اعدَتِ الأخلاقُ ما بيننا أينَ أخُو العهدِ من الناكثِ
لعِبتَ بى فيما مَضَى عابثًا
فالعبْ بغيرى اليومَ كالعابثِ
أقسمْتَ لى فاذهب فأقسم لها
فأنتَ أهلُ القسمِ الحانثِ

أحببْتَ بنتَ الحيِّ حتى قضى والبومَ أحببْتَ ابنةَ الوارثِ
كم مجلسٍ كان لنا ثالثٌ فيه وقد تَغْمَى عن الثالثِ

تاسو : ما هو مَنْ ؟

نتيتاس : الحبُّ يا مدَّعي والحبُّ حربُ الظالمِ العائثِ

[يعرض عنها تاسو ويبتعد]

نتيتاس [لنفسها] :

مضى الغادرُ لم يَشعُرْ بما حمَّلني الغدرُ
ولا رَق له نابٌ على جُرحي ولا ظفُرُ
تكلمتُ فلم يسمع وأنَّى يسمعُ الصخرُ
لقد غامرتُ في تاسو وتاسو في الهوى غمرُ
كم استشفيت بالسِّحرِ فما عافانِيَ السِّحرُ
وكم ناديْتُ آبائي فما لبَّانِيَ النصرُ
وكم جئتُ إلى الصَّبرِ فما أوانِيَ الصَّبرُ
جزاءُ المُعرِضِ التيَّا ه منكَ الصدُّ والكِبرُ
هَبِيهِ نَأت الدارُ به أو نزحَ القبرُ

هـبى معرفة الغـادِ ... رِ لم يأت بها الدهرُ
أقـلّ شُـغُلَ الفـكرِ ... فقـد أتعبكِ الفـكرُ
هبيـهِ مرّت السِّنُّ ... عليـه ومشى العمرُ
فـلم يبـق له نُهى ... على الغيد ولا أمْـرُ
ولم يبـق له فى البـا ... لِ تمثالٌ ولا ذِكرُ

« مدعو من المصريين يشير إلى نفريت وهى متنكرة فى زى »
« يونانى و يقول لرجل بجانبه... ... ... »

المدعـو : مَن المـرأة ؟
الآخـر : مَنْ ؟
الأول : تـلكَ ... تراها مثـلَ طاوُس
تراها مـع كاليـاسِ
الثانى : ومَنْ ؟
الأول : وارثُ فانيـس
أمير الجيش فى منْفٍ ... وأسـوانَ وسايِس
الثانى : أجلْ تلكَ التى تظهـ ... ـرُ فى أغربِ ملبوسِ

فهـذا الوجـهُ مصريٌّ   وهـذا الـزّىّ سامُوسى

[رجل فارسى لآخر يدعى قباذ] :

الرجل : انظـر قبـاذُ ما ترَى ؟

قباذ : أحسنَ شيءٍ منظـراَ

حمامـةٌ تُطـارِحُ الـ ـشـ ـجوى حماماً ذَكراَ

يا ليتَ أذْنى سمِعَتْ مِن الحديث ما جرَى

الأول : دعنِىَ من ذِكر الهوَى إنّنِى مُذْكنتُ لم أعشَقْ ولم أعشَقِ

قباذ [فى تهكم] :

وأنتَ كالناسِ امرؤٌ عائشٌ تلك لعَمرِى عيشةُ الأحمَقِ

الأول : قبـاذ قـد عرفتُـه ذلك تاسـو الحـارسُ

قباذ : الحمـد لله عـلى أنْ لم تَحـزهُ فارِسُ

إذنْ لمـامَتْ كاعِبٌ بحبِّـــــه وعانِسُ

[تاسو يقترب من نفريت] :

نفريت : تاسو هنا ؟ هاتِ اسقنا

تاسـو : لبيّـكِ يا ذاتَ البهاءْ لبَّيـكِ يا بنـتَ السماءْ

يا ليتني كنتُ الرّحيـ ق وليتني كنتُ الإناءْ

[ويناولها قدحا] :

نفريت : تاسُ ، مِنْ أينَ ومَنْ كنتَ من الغيد تُحدّثْ؟

تاسو : كنتُ أجامِلُ الضيو فَ وأُلبّي الملكا

فعارضتني نتيتا سُ في خلالِ ذلكا

نفريت : وما الذي قلتَ لها تاسُ وما قالت لكا

تاسو : عادَت لذكر حبّنا القديم وعطفَتْ على الهوى الذّميم

وطالَ العتابُ

نفريت : وطالَ السّبابُ

تاسو : بحق الحبّ نفريتُ أقِلّي الشُّغلَ بالأُخرَى

ولا تُلقى لناتيتا س لا بالاّ ولا فكرًا

غدًا تخلُو لنا مِصرُ غدًا يصفُو لنا القصرُ

غدًا ترحلُ لا أرجَـ ـعها البرُّ ولا البحرُ

نفريت : مالكَ تاسُ ولها خَلِّ الفتاةَ خَلِّهَا

للّه ما أعظمَها عِندى وما أجلّها

قد أظهرت أمس أمامي فضلها ونبلها

تاسو : ما فعلت ؟

نفريت : ما أنت من؟ يقدر تاس فعلها

ألم تصبر عن الوطن المفدى وتسمح بالديار وبالشباب

وترض بأن تزف غداً مكاني إلى النمر الأمير على الذئاب

تاسو : صه نفريت صه لا يسمعون فتلق مصر أنواع العذاب

« فى صحبة الوليمة يقف صاحبان هما : منا ، وأحامس ، ويتحادثان »
« صديقهما خوفو يقبل عليهما ثم القائد كاليـاس ... ... »

منا : أنظر أحامس

أحامس : ماذا؟

منا : فرعون بين صحابه

أحامس : وما ترى من عجيب؟ ماذا بفرعون مابه

منا : أنظر تجده إلهاً فى عبقرى ثيابه

أحامس : لا تلق بالا إليه ولا إلى أذنابه

غداً يصب عليهم قمبيز سوط عذابه

منا : أحامس ، استغفر لما قلته فأل الشياطين ولا فألك

أحامس : قد كنتَ مثلي يامِنا ساخطا   تلعنُ فرعون فما بالُكْ

[ثم مستمرا] :

تأمَّلْ القصرَ مِنَا   وانظره أرضا وسَمَا
أنظر ترى الإغريقَ فيه   هُمْ لفيفُ العُظَما
أنظر تجدهم كلُّهُم   يلقونَ العجما
مِنا : ماذا على فرعونَ إنْ   رعاهمُ وقدما
أليس للضيف على   ضائفه أن يكرَمَا
أحامس : وصاحبُ الدارِ إذنْ   يموتُ جوعاً وظَمَا
وصاحبُ الدار إذنْ   لا يتعدّى السُلَمَا
خوفو : ماذا أثار الصاحبيـ   ـن لِمْ وفيما اختصَمَا
أحامس : كنْ مُنْصِفًا إنْ رُمتَ يا   خوفو تكونُ الحَكَمَا
تأمَّلْ القصرَ خوفو   أفيه من مصرَ شيْ
أليسَ فرعونُ فيه   كأنه أجنبي
فأينَ حفارُ مصرِ   وفنه العبقري
والجيشُ خوفو !

خوفو : خذ الحذر يا منا يا أحامِسْ

كالياسُ آتٍ إلينا

منا : ومَنْ ؟

خوفو : خليفة فانِسْ

أحامس : اليومَ كالياسُ وأمسِ فانِسُ

احتكرَ القيادةَ الأبالِسُ

[ويقبل عليهم كالياس]

فرعون أمازيس [لتاسو] :

أينَ أقزامى ؟ إمضِ جِئْ بأقزامِى تاسُ

[يدخل الأقزام فى أزياء المهرجين ، فيقولون] :

تحياتٌ لفرعونَ سلامُ الشمسِ للملكِ

سلامٌ قائدَ الخيلِ سلامٌ حامِيَ الفُلْكِ

قهرمان القصر [للأقزام] :

هلمُّوا رقصةَ الحورِ إذا طُفْنَ بهاتورِ

سماءِ العزِّ والنورِ

أحد الأقزام : نحنُ القُزُم أنصافُ ناسْ
ناسٌ وبالشّبْرِ تُقاسْ

ثانٍ : نحنُ الدمَى واللُّعَبْ بنا يتمُّ الطَّرَبْ

ثالث : هلُمُّوا رقصةَ الموتَى من الكهفِ إلى الكهفِ
ودُورُوا كالتماثيل من الرفِّ إلى الرفِّ

آخر : نبي جُنث على الحَدث نبي نبي
حَبْوَ الصّغارْ على اليدِ والرُّكبِ
هيّا قِفِي هيّا ازحَفِي هيّا العبِ
هنا الطعامُ هيّا كُلِي دنا الشّرابُ هيّا اشْرَبِ

آخر : تعالَ يا دهقانْ أرْقُصْ مَعي
وأنتَ يا «أسوار» قُمْ اطاوِعِ
واقتبسا الأنوارَ من ساطِعِ

الجميع : عِشْ يا مَلِكْ مع الزَّمَنْ
مُطاوِقًا مِصرَ المِنَنْ
وذائدًا عن الوطَنْ

[ثم يكررون عش يا ملك وينصرفون]

فرعون أمازيس [إلى وجهاء الفرس] :

يا وُجهاءَ الفرس قالوا لكم مصرُ بلادُ السّحرِ والسّاحرِ
فربّما سرّكمُ أنّني أجيئكُم بالساحرِ القادرِ

ويناديى : حوتيب

حوتيب : لبيكَ سارِعْ

فرعون : تعالَ لَهُ الضُّيوفا

حوتيب : سادتى إنِّى فى الكَفِّ وفى الجَبهةِ أقرا
أنا أقرَا لكَ حَظًّا أنا أقرَا لكَ عُمرا
أنا الذى بسحرىَ المبينِ أستطاعُ المكتوبَ فى الجبينِ

فرعون [إلى تاسو] :
تاسُوا اقتربْ

تاسو : لبيكَ يا ساراعِ

فرعون : لِمْ أجلبوا ما خَطْبهم ما الدّاعِى

[ضجة وهمس]

فرعون [مستمرًا] :
وفيمَ هذا الهمْسُ والتّداعى

تاسو : مولاىَ إن الوفدَ فى ارتياعِ

تاسو [فى أذن الملك] :

انقلبتْ عصيُّهم أفاعِى

فرعون : يا لَحُوتَيبَ من فتى صناعِ

رئيس الوفد :

للّـه دَرُّ السّاحرِ هذا من العباقرِ

حوتيب : أناةً وفدَ فارسَ لا تُرَاعُوا ولا تُحصُوا دُعاباتِى عليّا

خُذُوا قضبانَكم وتأمّلُوها لقد عادَتْ كما كانتْ عِصيّاً

فرعون : حوتيبُ قد سرّ ضيو فى أن يرَوْا ويسمعوا

فزدهُمُ فعندكَ الـ ـسحرُ الغريبُ الممتعُ

حوتيب : فرعونُ هذا شرفٌ يطيرُ بى ويرفعُ

أصنعُ ما كان ددَا الـ ـساحرُ قبلى يصنعُ

فرعون : وما الذى تصنعُ؟

حوتيب : جيئونى برأسٍ يقطعُ

فإننى أردُّه لجسمِه وأرجعُ

فمَنْ من الوفد برأ سِه إلىّ يدفعُ

رئيس الوفد [لرجاله] :

هـل منكمُ يا معشرَ الفـرسِ بَطلْ
عنِ رأسِـه لسـاحرِ النيـل نَزَلْ

حوتيب : هاتوا الرءوس لا يخافنَّ أحـدْ
فـكلُّ رأسٍ سـيُردُّ للجسـدْ

أحدهم : رأسي غـيرُ هـينِ

ثان : رأسي عمـودُ بـدني

ثالث : رأسي لـديَّ غـالي رأسيَ كـلُّ مـالي

فـرعون : حوتيبُ ما من أحـدٍ هان عليـه رأسُـهُ
أنظـر إليهم . كلهـم عزَّتْ عليـهِ نفسُـه
خلِّ حوتيبُ الناسَ واخـ ـتَرْ غـيرَهـم للتجـربة

حوتيب : مُرْهمْ إذن أن يُحضروا إوزَّةً أو أرنبـه

فرعون [لتاسو] :

امضِ تاسو جيء حتيّـ ـبًـا بإوزٍّ وأرانب

«يخرج تاسو ثم يعود ببضع من الأوز والأرانب . فيقطع حوتيب رأس إوزة»
«ويقول : شال هبد شال هبد لايعجز السحر أحد يا رأس عد الى الجسد»

الفرس : تعالت قدرةُ النارِ

المصريون : تعالَ الرب آمونُ

فرعون : هيّ حوتيبُ إمش بينَ الصُّفوفْ

وطالِع الجَبَهاتِ واقرأ الكُفوف

حوتيب : برأسِ مَنْ أبدأَ مُرْنِي يا سارغ

فرعون [مبتسما وملتفتا لتاسو] :

برأسِ تاسُو اقرَا ما فى جبينِه

وبَيِّن المحجوبَ من شئُونِه

حوتيب [وهو يتأمل جبين تاسو] :

هـذا فتًى باطنُـه جمادُ

ليس وراءَ رأسِـه فؤادُ

رأسٌ عليه وَقف الجلّادُ

تاسو : إخسَأْ كذبتَ وضلَّ سِحْرُكْ

فرعون : ورأسِى ياحُتيب ألا تراهُ؟

حوتيب : جَبينُكَ أعفنى مولاىَ منه

فرعون : تعالَ حُتيب

حوتيب : لا . هذا شديدٌ جبينُ الشمس تنبو العينُ عنه

يا عجبا ماذا أرى؟

فرعون : ماذا ترَى

حوتيب : دمٌ جرَى

فرعون : دَمي أنا ؟

حوتيب : لا سيدى عُوفيتَ بل دَمُ الورَى

تاسو : إذن ليجرى كالمطر ما همَّنا دَمُ البَشر

إذا سلِمتَ يا ملِكْ فليَهْلكَنْ مَن هلَكْ

كاهن لآخر [بصوت منخفض] :

إنّ هذا الغلامَ فيه قساوهْ

الآخر : قلتَ حقًّا وفيه أيضًا غباوَه

فرعون : وبعدُ ماذا ؟

حوتيب : حربٌ عوانُ يَشيبُ من هَوْلِها الزمانُ

فرعون : وهل أكونُ ياحوتيبُ فيها

حوتيب : سِواكَ يا مولاىَ يَصطَليها

فرعون : وابني بساما يا حوتيبُ ما ترَى ؟

هل يَشهَدُ الحربَ وهل يراها

حوتيب : سيدى ليتَ الأميرَ حاضرٌ أنا لا أقرأُ إلا فى الجبين

[قهرمانة القصر تطيف بالعازفات والحسان وتقول] :

القهرمانة : قُمنَ إلى اللهو يا عذارَى وخُذنَ صَنجًا وخُذنَ دُفّا

واهتِفنَ بالشِّعرِ والأغانِي واقطعنَ ليلَ الشبابِ قصفَا

* * *

وأنشِدْنَ مع القومِ نشيدَ الملِكِ العالى

[ينشد الجميع نشيد فرعون مع الرقص وآلات الطرب]

النشيد : فرعونُ أنتَ الرفيعُ أنتَ العظيمُ الشّانِ

وأنتَ سدٌّ منيعٌ من جارفِ الفيضانِ

* * *

وأنتَ كالصَّخرِ تحمِي من نكباتِ العواصفْ

مِن قاطع الطرق يأوِى إلى حِماكَ الخائفْ

* * *

وأنتَ من صخرٍ طيبه حِصنٌ مشيدُ الجدارِ
يُؤوى إليكَ ويُلجَا إلى طلوع النهارِ

* * *

أنت اخضرارُ الرِّيفِ وأنتَ حُسنُ الرَّفيفِ
تردُّ بطشَ القوىّ وفتكَهُ بالضعيفِ

« فرعون يغادر مكان الوليمة فينطلق »
« المدعوون على أثره ولا يبق إلا نتيتاس »

نتيتاس [لنفسها] :

أفيقى بنتَ فرعونٍ فما يَزْكو بِك السّكْرُ
غداً تذرُو رياحُ الفر سِ من موتاكِ ما تذرُو
غداً يُصبغُ من شَطِّ لشطِّ بالدمِ النهرُ
غداً يُهتكُ عن أربا بِكِ المحرابُ والسِّتْرُ
فما تاسو وفتيانٌ كتاسُو فى الحِمى كثرُ
همُ النحلُ وإن هابُوا لقائى وأنا الزهرُ
يموجون بساحاتى ويزهُو بهمُ القصرُ
ولكن بين جنبىَّ هوًى أولَى به مِصرُ

« ستار »

الفصل الثانى

فى مدينة سوس الفارسية

« فى حجرة فارسية فخمة مفروشة بثمين الطنافس ومملوءة بالوسائد »
« من الحرير المختلف الألوان ، وقد زينت زواياها بالرياحين »
« الكريمة ، الملكة ووصيفتها تتى فى الحجرة المذكورة .... »

الوصيفة تتى [وهى تصلح رأس الملكة وتمشط شعرها] :

تباركَ الذى خلقْ　　أفولَها ولا ملقْ
ذوائبٌ أمِ الدُّجَى　　ومَفرِقٌ أم الفَلق ؟
غدائرٌ فى الكتِفيـ　　ـن أسْدِلتْ وفى العنُق
كأنها من الحريـ　　ـر الأسود الخيطِ شُقَق
لم يَخلُ جوُّ فارسٍ　　مُذ ضمَّها من العبق

الملكة : ما تصنعين يا تِتِى

تتا : أُصلحُ مولاتى

الملكة : لمَنْ ؟



الوصيفة تى [وهى تصلح رأس الملكة وتمشط شعرها] :

تبارك الذى خلق　　　أقولها ولا مـلق

تـنى : للـزوج يا سـيدتى

الملكة : نِمِـر الفُـرسِ الخشِنْ

تـنى : هَيبـهِ ذنبًـا مَلْكتى أو نمِرًا أو كَرْكَدَن

أليسَ للأزواج تلـ بسَ النساءُ ما حَسُنْ

الملكة [ملتفتة إلى وصيفتها تنى] :

قلتِ حقا تنى فإن على المـ رأة للزوج أن تكون أمينه

وعليها ألا تُقصِّرَ بشرًا حيث تلقاهُ أو تُقصرَ زينه

تنى الوصيفة : بـل تحـلّى مليكتى والبَسِى حُـلَّةَ البهاءْ

وافتنِى مَن بفارسٍ من رجالٍ ومن نساءْ

إن كسرى وقومَه كلّهم فى الهوى سواءْ

أنتِ كالشمسِ فى الضحى فانشرى الحُسنَ والضياءْ

لا على القصرِ وحدَه بل على الأرضِ والسماءْ

الملكة : يا لكِ من وُصيفةٍ مُملِّقـهْ

عارفـةٍ بالجُملِ المُنمَّقـهْ

الوصيفة : لقد وصفتُ ذهبًا فى البوتقه

ولم أصف بالطيب إلا زنبقه

وقلتُ عن شمس النهارِ

الملكة : مُشرقه

« ويظهر على الملكة التفكير واشتغال البال بغتة »
« ثم تتغنى فى نفسها وهى مقبلة على المرآة تنظر فيها »

الملكة [فى نفسها] :

يا ظالمًا أحبُّه جهدالهوى وإن غدرْ
ومن هجرتُ وطنى لأجله حين هجرْ
قلبُك لحمٌ ودمٌ مثلُ القلوب أم حجرْ
لم يتنصلْ مرةً مما جنى ولا اعتذرْ
جسمٌ كسلسالِ الصفا على فؤادٍ كالصخرْ
وزهرٌ أنتَ وتلـ ـك النفسُ أفعى فى الزهرْ
لم تجنِ يا تاسُ علـ ـىْ إنما جنى القدرْ
ذنبك لا يُغفر ! لا أن قلبي قد غفرْ
إنْ غبتَ عن عينى فأنـ ـتَ فى سوانح الفِكرْ

أراكَ كلما رأيـ ـتُ طائرينِ فى الشجرْ
وكلما بدَتْ لىَ الشمسُ ولاح لى القمرْ
وكلما جئتُ الريا ضَ ووقفتُ بالغُدُرْ
وكلما ترنَّم الشـ ـادى وحرّكَ الوتَرْ
وكلما دبّتْ ورا ءَ الليل نسمةُ السَّحَرْ
ياليتَ شعرى كيفَ أنـ ـتَ ما تجىءُ ما تذَرْ
وكيف حُبك الجديـ ـدُ هل خَبا وهل كَبِرْ
وهل وفَيتَ أم غدر تَ بالعشيقات الأُخَرْ

الوصيفة : دَعى الناسيَ مولاتى وخلّيكِ من السّالى
ولا يخطُر لكِ النا ىُ للعهد على بالِ

نتيتاس : هبيه يانتَا خانَ فمالى لا أفى مالِى
لـه خُلُقٌ ولى خُلُقٌ ولكنْ خُلُقَ العالى

نتـا : هوَ يا ملكتى مِثا لُ ولكنْ من الوَحَلْ
كان يكفى لبُغضِه بعضُ ذاك الذى فعَلْ

نتيتاس : أنا أفديهِ يانتَا بحياتى وإن قتَلْ

تـا : لـو كان معشوقى أنا

نتيناس : ما الذى كان يـلاقى ؟

تـا : آه لا أدرى

بالصفع أجزيه وبالركل أو

كنت أريه النجم فى الظهر

نتيناس : الحـب فى ناحيـة وأنت ذى فى ناحيـة

ما هكذا الحب نتا ما الحـب إلا التضـحيه

[تسمع ضجة وصياح وحركة جنود وراء القصر وصوت استغاثة] :

يقول المستغيث :

العفـو يا كسرى الصـفح يا سـلطان

أخـوك والنـار ومجـدها ماخان

الملكة : إسمعى يا نتا ألم يأتك الصوت ؟

تـا [وتطل من نافذة] : أجل ثم ضجـة وعـويل

ثم خيل وشرطة وسلاح

الملكة : ليت شعرى من البرىء القتيل

تـا : أقتيـل يا بنت فرعون ؟

الملكة : لم لا ليس فى أرض فارس مستحيل

* * *

يا تِتَا نحن في بلد كلُّ قلب به جمد

* * *

الحيُّ فيه رخيصٌ والميْتُ أرخصُ منه

* * *

هنا الميْتُ تُفضُّ منه الأكف وتنهى الشرائعُ عن دفنِهِ
ويُطرَحُ ناحيةً في الفضاءِ على سهلِهِ أو على حزنِهِ
تروحُ الحداءُ على رأسه وتغدو الذئابُ على بطنِهِ

تتا : ويحهم ويحهم أما من الناسِ هُم؟
ذلّت وهانت أمةٌ ميتهم لا يُكرم

الملكة [وهي مطلة] :

تِتَا هذا هو الحارسْ وهذا مَن نُحبينا

* * *

كذوقِكِ يا تِتَا لم يَعْلُ ذوقٌ أتمثالُ حبيبِكِ أم إلاهُ

تتا : ولو فوق الإله يحبُّ شيءٌ ويُكرَمُ لم يكُنْ أحدًا سواهُ

* * *

تأمّلِي كتفيهِ تأمّلِي منكبيهْ كأنّ صقرَيْن حطّا فقطّ للاشاربيهْ

الملكة : انتظرى لابُدَّ لى أن أسأله

تتا : لا تفعلي مالكِ مولاتى ولهْ

الملكة : يأيها الحارسُ

الحارس : لبَّيك

الملكة : مَنْ يقتلون اليومَ فى الساحةْ؟

الحارس : أختُ الملِك أتوسيا

الملكة : أختُ الملِكْ ؟

الحارس : أجل هيَا

اتهمت ببُرديا

تتا : من برديا؟

الملكة : أخو الملك! يقطع فى الساحة رأس برديا

يا أسفا عاوده جنونُه

تتا الوصيفة [وقد أطرقت الملكة لحظة مفكرة مغتمة] :

ما بكِ مولاتىَ ما غمّكِ ما هذا الأسى؟

الملكة : لا شىء بى لقدْ وهمتِ ياتتَا لا شىءَ لا

الوصيفة : بل أنتِ تكتمينَ غمًّا طافَ أو همّا سرى

هلا ذكرتِ أننا غريبتان ها هنا

أنت لىَ الأهـل ولـ   ـكنى أنا لكِ الحمَـى
وما على الغريب إن   جاءَ الغريبَ فاشتكى
الملكة : صـدقت يا تتَا أنا   وأنت فى الكرب سوَا
قد اجتمعنا بعد قُر   بِ الدارِ فى دارِ النوى
تتـا : أينَ إذن تبسُّمٌ   كالصبح من فيكِ يُرى
الملكة : لقد رأيتُ الهوْلَ والـزَّ   ـوْلَ وما هدَّ القُوى
تتـا : أضغاثُ أحلام وزو   رٌ من تهاويلِ الكرى
الملكة : رأيتُ رؤيا يا تتـا   هل لكِ علمٌ بالرؤى؟

الوصيفة [بعد تفكيرٍ] :

أجلْ تذكّرتُ أجلْ   عندىَ من ذاكَ شدا
قدكنتُ فى الصِّبا على   أبى أقُصُّ ما أرى
الملكة : رأيتُـنى كأننى   فى قصرِ آبائى بِصَـا
الوصيفة : فى القصرِ من صالحجرْ   قصرِ الجلالِ والبهَا
الملكة : رميتُ عينىَّ من الـ   ـقصرِ إلى أقصى مدَى
رأيتُ واديًا كطـو   لِ البيدِ أو عرضِ الفلا

أصفرُ من شعابه بنفسجيّ المُنحنى
أحمرَ مثلَ قُزح هناك واخضرّ هنا
رأيتُ ليثاً أحمراً بجلدةٍ خشناً كالصفا
فاغرَ فيهِ عن نيو بٍ مثل مشروع القَنا
انقضّ كالصخرِ على الـ وادى فأفْنى فَرنا
ونظرَ النيلَ وقد عبَّ وماجَ وطغى
وخرجت منه التما سيحُ فُرادى وثُنى
وأعْوَلت حتى لقد سدّ عويلُها الفضا
فعقرَ الليثُ فلا رجلاً رمى ولا يَدا
وقرّ فى مكانِه كأنه بعضُ الدُمى

الوصيفة : ثمَّ ؟

الملكة : رأيتُ خنشاً ليسَ له مِصرُ ثُرى
لم ترَ منفُ مثلَه ولا الصعيدُ قد رأى
كأنه صاعقةٌ تحدرتْ من السما
مشى إليه كلُّ ذى قوسٍ وكلُّ ذى عصا

وخرج الكهانُ يتـ ـلونَ الصلاة والـرُّقَى

الوصيفة : وما الذى حـلَّ بـه؟

الملكة : لم يُصبْ الوحشَ أذى

الوصيفة : حقّقْتِيهِ سيدتى؟

الملكة : حقّقتُـه على الضُّحى

الوصيفة : فكيف كان ؟

الملكة : صـورة تُشيبُ أرْؤُسَ النَّشَا

كأنه فانيسُ عيـ ـنَيْنِ ووجهًا وقفَا

حتى تعوَّذتُ بآ زيسَ وآبائى العُلى

الوصيفة : فانيسُ مَنْ ؟

الملكة : نسِيتِيه ؟ كيف نَسيتِى يا تِتَا

الخائنُ الذى إلى فارسَ من حينٍ أتَى

يَشِى بمصـرَ وأخا فُ أن يكون بى وشَى

الوصيفة : ما صنعَ الثعبانُ مو لاتى

الملكة : من النهـرِ دنا

وفحَّ نُـمَّ دَسَّ فى النـهر لسانًا كاللَّظى
فاحتجبَ النيلُ وعادَ يبسًا ما كانَ ما
واحترقتْ مدائنٌ بالضفتينِ وقُرى

الوصيفة : والليثُ يا سيدتى؟

الملكة : بعد التهيبِ اجترا
مشى على الوادى فهلْ رأيتِ عاصفًا جَرى؟
يقتلعُ اليابس والرَّطبَ ويفرِى ويطَا
وكرَّ حتى غادرَ الوادىَ قاعًا صفصفا
هو ذا الحُلْمُ فما تفسيرُه نبئينى يابنتا

الوصيفة [لنفسها مضطربة] : ماذا أقولُ؟

الوصيفة [للملكة] :
مَلْكتِى لا تفزعى

الملكة : كيف بِنتا كيف لاأفزعُ والحُلْمُ مهولُ
ينفدُ النيلُ ويذوى شطُّه
وتَغولُ الأهلَ والأوطانَ غُولُ

الوصيفة : رؤياك ياسيدتي من نفسها مؤوّلَه
نالتْكِ من عَشاءِ أمـ ـسِ ثِقلَةٌ ووبَلَه
الملكة : ماذا أكلتُ مع قمـ ـبيزَ وما قُدّم له؟
الوصيفة : كان العشاءُ ملكتي مائدةً محمّلَه
أكلتِ ياسيدتي من أرنبٍ متبّلَه
ثم أكلتِ من حَمَلْ وحَمَلُ الفُرسِ جَمَلْ
الملكة : ثمّ؟
الوصيفة : جاءوا بالطيرِ فى الأطباقِ
الملكة : طيرُ مَنْ؟
الوصيفة : طيرُ فارسٍ والعراقِ
الملكة : ثمّ ماذا؟
الوصيفة : ثم جاءوا بالسمكْ
فرأيتُ الملكَ فى الأكل انهمَكْ
الملكة : ثم ماذا؟
الوصيفة : لاأعُدّ ماحضَرْ من لحومٍ وبقولٍ وخُضَرْ

ثم بالحَلْوى أتَوْا والفاكهة

الملكة : كيف كانت ؟

الوصيفة : تشتهيها الآلهـهْ

الملكة : خلَّطتِ تخليطَ العجوز يا نِتَا فما علاقةُ الطعام بالكرى

الوصيفة : الأكلُ قبلَ النومِ ثِقلٌ وأذى وربمَّا جاء بأضغاث الرُّؤى

الملكة [لنفسها] :

عرفتُ الآنَ رؤيـايَ وما خلَّطَ أحـلامى

وقـد يُغـريكَ بالأكلِ طُهـاةُ الفُـرسِ والشام

[ثم الى نتا] : نِتَا أينَ كنتِ ؟

الوصيفة : وراءَ الخَـدمْ

الملكة : وكيف عَددتِ علىَّ اللُّقَـمْ

الوصيفة : لبِـذْتُ هناكَ فما من يـدٍ تفوتُ علىَّ ولا مِن قَـدَمْ

ولم يخفَ عنىَ كيـدٌ يطوفُ ولا وحىُ لحظٍ ولا همسُ فَمْ

أخافُ القصورَ وأخشَى السمومَ وما مـترلُ السُّمِّ إلا الدَّسَمْ

الملكة : يا لكِ من رفيقة محسنةٍ شفيقهْ
مرحى تتا كذا نِتا فلتكنْ الصديقه
الوصيفة : سيدتى أخجلتنى ليس بما جئتُ عَجَبْ
ما قمتُ يا سيدتى إلا ببعض ما وجَبْ
الملكة : ولكن يا نِتا ما أخطرَ السم على بالكْ
ولى فى فارس عامٌ فما فكرتُ فى ذلكْ
الوصيفة : أرى قمبيزَ والفرسَ بمولاتىَ قد جُنُّوا
ولولا ذاك لم يخلُ من السم لها ذهنُ
الملكة : ولِمْ لا نحذرُ السمّ أما فى فارس نحنُ
هنا الجلادُ والسيفُ هنا السجّانُ والسجْنُ
الوصيفة : وماذا ضرّ ما قلتِ إذا لم يحِن الحينُ

الملكة [بعد برهة تفكير] :
أرى قمبيزَ ذلّ ورقّ طبعا بربكِ هل رأيتِ عليه حبّا
الوصيفة : أجلْ هو يقصرُ الخطوات مهلاً وكان يمدُّها خطفًا ووثبًا

[ثم فى تلعثم وتردد] :

سأسألُ فآحلمى عنى فإنى ... أموتُ ولا أراك على غضبِ
سؤالُ مليكتى هل من جوابٍ

الملكة : ... أدونَكِ يا نتَا شيء يُحبّا

الوصيفة : زعمْنَا أن قمبيزًا مُحبٌّ ... فهل تجزينه بالحب حبّا

الملكة : أحبُّ أنا ؟ ضلّ ما قد ظننْتِ ... وإن خلتِ ظنّكِ لم يكذبِ

الوصيفة : ولِمْ لا ؟ وقمبيزُ لا بالقبيح ... ولا بالدميم ولا بالغبى
ولا هو بالملكِ البربرىّ ... ولا الوحشِ ذى النابِ والمخلبِ
ولكن فتىً خيّرٌ كالسحابِ ... وضيءُ البشاشةِ كالكوكبِ
يزينُ السريرَ إذا احتلّه ... وإن سار كان حُلَى الموكبِ

الملكة : صدقتِ نتا هو زينُ الشبابِ ... إلهُ القنا قمرُ الغيهبِ
إذا غُلبتْ فى القتالِ الملوكُ ... وفى السلمِ عزّ فلم يُغلبِ
يُسيطِرُ كالشمسِ سلطانُه ... على مشرق الأرض والمغربِ
ولكن متى يا نتَا دُلّهتْ ... بناتُ الفراعين بالأجنبِ

وما نائق فى جلالِ الجدودِ ولا فى العقيدةِ والمذهبِ
بَخٍ بَخْ تتا ألفَ مرحى تتا

الوصيفة : حَنَانَيْكِ عفواً ولا تغضبى
لقد قلتُ حقًّا وماذا علىَّ إذا قَوْلَةُ الحق لم تُعجبِ

« تنسحب الملكة إلى غرفة مجاورة ويدخل قمبيز ... ... »

قمبيز [يدخل وعليه أمارات الغضب] :
ما أرى من تتا؟ تتا أين مولا تُكِ فيمَ احتجابُها أين سارتْ

تتا [لنفسها]: ربِّ ماذا به وما هاج قمبيـ ـز وما بالُ نفسِهِ اليوم ثارت

تتا [لقمبيز]: هى فى حجرة الملابس

قمبيز : لا بل هى قد جاءها النبا فتوارت
خبِّرينى من أبوها أيـرياسُ أم أمازسْ
وبنفريتَ تُسمَّى أم تُسمَّى بنيتاس
إحذرى أن تكذبينى إحذرى سلطانَ فارس

تتا : سيدى ما هذه الأخـ ـبار كسرى من رواها
سيدى كيف اتهمتم ملكة الفرس النبيله

قمبيز : سأريها كيف تنقا   دُ وتأتى لى ضئيله
فى غدٍ تدخلُ مصراً   بنتُ فرعونَ ذليله
وترى السيفَ مخُوفاً   وترى النارَ مهوله
وترى النيلَ دماً وا   لأرضَ جرداءَ محُوله
لا أناسٌ لا مواشٍ   لا بناءٌ لا خميلهَ
الوصيفة : سيدى صبراً تجِدْ   عاقبةَ الصبرِ جميلهَ
سيدى لا تُصْغِ إلا   لسجاياك النبيلهَ
قمبيز : أنا لم أخلَق لبسطِ الـ   كَفِّ أستجدِى بخيلهَ
أنا للسّيف وللرُّمـ   ـح وإخضاعِ القبيلهَ
لا تِتَا . لا . إنّ بالملـ   ـكةِ كبراً ومخيلهَ
[ثم بسخرية] :
أنا من تُربٍ خسيسٍ   وهى من أرضٍ جليلهَ
أنا للطّينِ سليلٌ   وهى للشمسِ سليلهَ
الملكة [وهى راجعة] :
ما الصوتُ مَنْ تكلّمينَ يا تِتَا ؟

الوصيفة : سيدتى . سيدىَ الملكُ أتى

الملكة [ملتفتة] : الملكُ جاء حجرتى ؟ كيفَ متى ؟ ؟

[ثم ناهضة ومقبلة على الملك] :

الملكُ فى مقصورتى يا مرحبا يا مرحبا

الملك [ويقبل على الملكة] :

سلامٌ ملكةَ الفُرسِ وبنتَ العليةِ الصيدِ

الملكة : سلامٌ سيدَ الأرضِ سلامٌ حيدرِ البيدِ

ومن دانتْ له الدنيا وألقتْ بالمقاليدِ

[ثم مستمرة] : لم أتعوَّدْ أن أرى مولاىَ عندى فى الضُّحى

قمبيز : خالفتُ نظمَ عادتى وجئتُ فى شأنٍ دعا

الملكة : مالَكَ كِسرى عابسًا مالى أراكَ مُغْضبًا

الملك [ويصفق] :

أجلْ جِد غضبان

الملكة : مِمَّ الغضبَ؟

الملك : رُوَيْدَكِ نفريتُ تدرى السَّبَبْ

الملكة [لنفسها] :

دعانِيَ باسمِيَ لم يَدْعُنِي كمألوفِ عادتِهِ باللَّقَبْ
تُرَى لم يزَلْ جاهلاً أننى أتيتُ لفارسَ باسْمٍ كَذِبْ

قمبيز [ملتفتا وراءه خارج الباب وينادى] :

فانيسُ . أَقْبِلْ أُدنُ جِىءْ

الملكة [لنفسها] : فانيسُ ؟ لا . لا يدخُلِ

فانيسُ لا أجهلُهُ ليس لمصرَ بالولِي
عدُوُّ قومِي وبلا دى كيف يُصفى الودَّ لِي

[ثم الى قمبيز] : مولاى إنى ما فرغ تُ بعدُ من تجمّلِي
فكيف أستقبل فى هذا اللبَاسِ المهمَلِ

[لنفسها] : يا ويلتاه ما أرا دَ باصطحاب الرجلِ
إيزيسُ ما بالىَ أحـ سستُ بشرٍّ مقبلِ

الملك : مالَكِ يا مليكةُ لم تُرَحّبِي وتحفِلِي ؟
مالكِ أجفلت ؟

الملكة [مضطربة] : أنا ؟ لا سيدى لم أجفلِ

الملك : إذَنْ هِيَ الأُذنَ لفا ... نيسَ دَعِبه يدخل
الملكة : لا بأسَ فى أن أراه عندى ... إن كنتَ يا سيدى مُصرّاً
لكن أأُنسيتَ أن فانيـ ... ـسَ خانَ بالأمسِ عهدَ مصرا
وفرَّ منها ولستُ أدرى ... ماذا دَعَاه لأن يفرّا
وكان فى الجيش ذا مكانٍ ... وقادَ بَرّاً وقادَ بحرا
قمبيز : لكنه اليومَ فى بلادى ... أجلُّ مما ذكرتِ قدرا
الملكة : وسوفَ يجزيكمُ جحودا ... كما جزى أهلَ مصرَ كفرا
قمبيز : لقد أتانى بكلِّ سرٍّ ... عن مُلْكِ مصرٍ لم يُخفِ سرّا
حتى الذى تكتمينَ عنِّى

[ثم ينادى] : فانيس

فانيس : مَلْكِي لبيكَ عشرا

[ثم هو يدخل] :

سلامُ الشمسِ من مصرَ ... سلامُ النارِ من فارسْ
على الملكةِ نفريتَ ... أو الملكةِ نيتايسْ

الملكة [لنفسها] :

رمانِى النذلُ بالسهمِ

[ثم لفانيس] : سلامٌ لكَ يا فانيسْ

ويا مَن هو فى الفُرسِ ومصرَ القائدُ الفارسْ
وفى القصرين من سوسٍ وسايسَ هو الحارسْ
فانيس : وماذا ضرَّ يا بنتَ الموالِى وإن تأْبَىْ فيا بنتَ الأعادِى
أجلْ مولاتِى الإغريقُ قومِى أحبهمُ ويونانٌ بلادِى
هجرتُهما إلى مصرٍ صبيًّا لكسبِ معيشةٍ وطلابِ زادِ
فصدتُ الرزقَ حتى صارَ عندى وجاوزه إلى المجدِ اصطيادِى
وهزتُ على اللواءِ بمصرَ جهدِى وفرعونٌ وقومُك فى رقادِ
الملكة : كذبتَ فلم تكن إلا مسوداً
فانيس : فسوَّدنِى ذكائِى واجتهادِى
الملكة : أجيراً كنت عند أبى وقومِى
فانيس : فموَّلنِى نشاطِى واقتصادِى
جعلتُ الأرضَ كالصحراءِ تحتى وكنتُ الليثَ من وادٍ لوادِى
الملكة : أراكَ علىَّ يا فانيسُ تجرو أجرّأكَ المليكُ على عنادِى؟
ككلبٍ خلفَ سيدِه تجرَّا فواثبَ رائحًا وسطا بغادِى

فانيس : بدأتِ أميرةَ الوادى بشتمى   وما أنا يابنـةَ المقتولِ بادِى

لقد عيرتِنى أنى غريبٌ   ولوعٌ بالسفار وبالرِّيادِ

الملكة : لقد هجمَ الوقاحُ على مكانى   وأخشى أن يصيرَ إلى التمادى

[ثم للملك] : مولاىَ قِفْ فانيسَ عند حدّه   أو ردّه لا تُلجِنى لردّه

علمتَ حقدَه على قومى فلا   تدعه ينفثُ فى سمّ حقدِه

الملك : علامَ أقصِيه

الملكة : لأنه أتى   يَشى بنا ويفترى كعهدِه

الملك : فانيسُ جاءَ ناقلاً مبلّغا   وليس ما جاءَ به من عندِه

[ثم مستمرًا] :

أراكِ نفريتُ غيرَ منصفةٍ   رويدَ لاشىءَ يوجبُ الغضبا

كونى مكانى!؟ ما كنتِ فاعلةً؟   إذن قلبتِ الزمانَ فانقلبا

الملكة : لا سيدى إن للزمان يدًا   قد ضربتْ كفَّ كلِّ من ضربا

الملك : نفريتُ ثُرتِ على فنيـ   ـس وما حفظتِ ولاءَه

ونسيتِ خدمتَه بمصـ   ـر وما ذكرتِ بلاءَه

الملكة : لا سيدى لا . نحّه   أنا لا أطيقُ لقاءَه

[ثم مستمرة]:

ما بكِ مولاىَ ما أثارَك ما … أذاكَ إنى أراك ملتهبَا

قمبيز: أثارَنى منك أن كذبتِ وذا … فانيسُ قد جاء يفضحُ الكذبَا

[ثم مستمرًا]:

هلمى الآن نفريتُ … هلمّى يا نيتياسُ

بأىّ اسميك ادعوكِ

الملكة: بذا أو ذاكَ لا باسُ

فيا قمبيزُ لو دانَتْ … لكَ الأيامُ والناسُ

فلن تستطيعَ أن تقهـ … ـرَ نفسًا حلَّها الياسُ

قمبيز: أنتِ مملوءةٌ من اليأسِ منى

الملكة: أجلِ اليأسُ منكَ ملءُ ثيابى

فليكن

الملك: إننى سألت سؤالًا … لم إذن هبْتِنى وهبْتِ جوابى

كيف أدعوكِ يا عروسُ؟

الملكة: بما شئـ … ـتَ بشرِّ الأسماءِ والألقابِ

بالذى أنتَ أهلُه من بذاءٍ … والذى أنتَ أهلُه من سبابِ

الملك : أنتِ لم تُذنبي بل الذنبُ ذنبي
أنا قد شئتُ أن تكونى ركابى

الملكة : ليس ماشئتَ أو أتيتَ غريباً
قد تكونُ المَهَا ركابَ الذئاب

الملك : احْذَرِى أيها الفتاةُ إنفجارِى

الملكة : انفجِرْ مابِي انفجارُكَ مابِي

الملك : جئتِ ذنبا تُعاقَبِينَ عليه كلُّ ذنبٍ رهينةٌ بالعقاب

الوصيفة [بصوت منخفض] :
اكظمِى الغيظَ يا أميرةُ

الملكة [وتشير الى قمبيز] :
بل يخرجُ من حُجْرتى ومن مِحْرابِى

الملك [لفانيس والوصيفة] :
انظرَا واسمعَا تُحاوِلُ أن أبْرحَ قصرِى وأن أُفارِقَ بابِى

الوصيفة [للملكة بصوت منخفض] :
راجعِى الحلمَ ملْكتِي سايرِيهِ لاطفِيهِ لِينِي له فى الخطابِ
لاتهيجى به الجنون فيطغى إنَّه آدمٌ بظُفرٍ ونابِ

فانيس [همسا] :

أَحسِني الرّدَ ملكتي واحفظِينا

إننا ها هنا ثلاثُ رقابِ

الملكة : خِفتَ فانيسُ من عذابِ نهارٍ

كيفَ عرّضتَ أنفسًا للعذابِ

عجبٌ من خرابِ عمرك تخشى

أنتَ من ساقَ أمّةً للخرابِ

الملك : بنتُ مَنْ أنتِ يا نتيتاسُ

الملكة : بنتُ الشمس بنتُ العواهِلِ الأربابِ

والِدِى فى السماءِ فهو إلهٌ

الملك : فلماذا مرّغتيه فى الترابِ

قد نبذتِ اسمكِ الذى كان سمّا لكِ وجُبتِ البلادَ باسمِ كذابِ

[ثم مستمرا] : نتيتاسُ تمرّدْتِ فما أبقيتِ لى صبرا

وكلّمتكِ فى الذنبِ فما أبديتِ لى عُذرا

وما أجرأ ما كنتِ على شتمِى ما أجرا

فما غرّك بالبأسِ وبالسلطانِ ما غرّا

الوصيفة [بصوت منخفض] :

خُذى فى اللّينِ مولاتى

فانيس [همسا] : خُذى سيدتى الحذرا

فقد تأخذُه النوبـ ـةُ حتى يحَرُقَ القصرا

قمبيز : دَعى العزّةَ بالجنس نتيّاسُ دَعى الكِبرا

ولا تُلقِى على إحسا نِى النسيانَ والكُفرا

أما أخبتُكِ الحُب الـ ـذى أنتِ به أدرَى

وفضّلتُكِ فى القصرِ على البيضاءِ والسمرا

وقدّمتكِ فى الأزوا جِ قبلَ الأختِ من كسرَى

الملكة : لقد كنتَ وراءَ الحُـ ـبّ تُخفِى النّاب والظفرا

وما أفرحنى أنى تقدّمتُ على الأسرَى

ولا أنكَ ترعانى وتنسى النعجةَ الأخرَى

الملك : ملكةَ الفرسِ أمسِ

الملكة : واليوم

الملك : كلا لستِ أهلاً لصحبةِ المالكينا

الملكة: أنا بنتُ الملوك أصلُح للمُلْـ ـك جدودى تملّكوا العالمينا

الملك: قـد خُدعتُ الشهورَ يا بنْـةَ فرعو
نَ ولـولا فانس خدعتُ السّـنينا

فانيس [لنفسه] :
أحمدُ الله قد نجوتُ برأسى وأمنْتُ المُهوَّسَ المجنـونا

الملكة: ليس فانيسُ للأمانة أهلاً إن من خانَ لم يخفْ أن يخُونا

الملك: ستَرَين العقابَ

الملكة: إنى تأهّبْـ ـتُ فهات العذابَ هات المَنُونا

الملك: لا. فما ها هنا العقابُ ولكن

الملكة: أين ؟

الملك: فى حيثُ شئتُ لمْ تسألينا
مصرُ أولى بأن أحاسبَ فيها وأحلّ العقـابَ بالخادعينا
فى غد تدخلينَ مصرَ مع الجيْـ ـش

الملكة: أنا ؟ لا أرافقُ الغـاصبينا

الملك: بل تسيرينَ تحت راية فانيْـ ـسَ
وما تصحبينَ إلا أمينـا

الملكة :سيدى

الوصيفة :مليكتى دَعى العُنفَ

الملك : ماذا؟

الملكة : كيفَ لقّبتَ بالأمين الخؤونَا

فانيس [همسا] :

صانعى أيها الأميرة

الملكة : دَعْنى

فانيس : اهْدَئى حاسنى عسى أن يلينَا

الوصيفة : مَلكتى قال سيدى الملكُ الحقّ

الملكة : صَه أنت يا تتَا تكذبينَا

فانيس : ستريْنَ النعيمَ تحتَ لوائى

الملكة : بل أرى البُؤسَ تحتَه والهُونَا

الملك :وكأن الوجهين بانا من الوا دى

وزالا سهولةً وحُزونَا

أرسلُ السيلَ تارةً وأجيلُ الـ ـسيفَ آنًا وأشعلُ النارَ حينا

الملكة: عُدْ إلى الرُّشد ما جئْت مصرُ يا قمـ

ـبيزُ ما ذنبُ أهلها الآمنينَا

[ثم مستمرة]:

أميرَ الفُرس قلنا كلَّ شيء

ولم نَقُل الحقيقةَ والصوابَا

الملك: أعندكِ منهما شيءٌ؟

الملكة: ولم لا

الملك: إذَنْ قوليهما وزِنِي الخطابَا

ذكرتِ الحربَ هل تخشين منها

الملكة: ولم لا وهي أجدرُ أن تُهابَا

الملك: ولكنا ملوكَ الفرس نغشَى مخاوفَها ونجعلُها لعابَا

أراكِ هدأتِ نائيتاسُ روعًا

فانيس: وكان الرّشدُ فارقَها فثابَا

الملكة: ذكرتَ مليكَ فارسَ حربَ مصرٍ وأنسيتَ العوائقَ والصّعابَا

سيطوِى الجيشُ نحوَ حياضِ مصرٍ
بحارَ الملحِ واللججَ العذابا

وأغبى الناسِ منشمرٌ لحربٍ — توقَّعَ أن يُصيبَ ولا يُصابا

ودونَ النيل

الملك: ماذا دونَ مصرٍ؟

الملكة: يجوبُ الجيشُ صحراء يبابا

ترى تيهًا تجُرُّ الخيلُ فيه — قوائمَها وتنسحبُ انسحابا

يَضلُّ الجيشُ هديتَه عليه — ويُظمئُه ويوردُه السَّرابا

ترى جلدَ الجمالِ عليه يفنَى — وتحسبُها من اللَّهثِ الكلابا

الملك: لا تُراعى فما على الجيش بأسٌ — كلُّ شيءٍ على الحدودِ تهيَّا

قد وجدنا الحرارَ في مصرَ والما — ءَ ولم نَعدمِ الرجالَ السُّقيَّا

فانيس: واشترينا الخفيرَ بالمالِ والحا — رسَ والحاميَ الأمينَ القويَّا

الملكة [لفانيس]:

كلُّ هذا فعلتَه أنتَ يانذ — لُ

فانيس: أجلْ ما أتيتُ أمرًا فريَّا

إن قمبيز بي حفيٌّ وفرعو ... نُ أمازيس لم يكن بي حَفيا

الملكة : وابنُـه ماجنى عليك ومصرٌ؟

فانيس :

جَنَيا الطـردَ والجحودَ عليّا

أنا كالسيف لم يَصُنّي كَمِيٌّ ... قد رمانى فاعتضتُ عنه كَمِيّا

الملكة : وجحدتَ الذى طعِمتَ من النعـ ... ـمةِ

فانيس :

لا . ماطعمتُ من ذاك شيّا

كنت كالسيف كلما كافئونى ... جعلوا السُّمَّ لى طعامًا ورِيّا

الملكة [إلى قمبيز] :

وهبكَ بلغتَ يامولاىَ مصرًا

الملك :

وماذا عندَ مصرَ

الملكة :

تجىءُ غابًا

ترى أُسدَ القتالِ عليه شتّى ... تقلّدتِ الصوارمَ والحرابا

وثَمّ ترى الفَيالِقَ من رُماةٍ ... تكادُ قِسيُّهم تَرِدُ السحابا

إذا نظروا على زادٍ غرابًا ... أصابُوا بينَ عينيهِ الغرابا

الملك [يبتسم مستهزئًا] :

رُماةٌ ؟

[ثم الى فانيس والوصيفة] :

حدثوها كيفَ أرمى

وكيفَ أصيبُ فى السُّحُبِ العُقابَا

الملكة : أنتَ بجمعهم تُقتاسُ كسرَى

وأنتَ المـوتُ حيثُ رَمَى أصابَا

الملك : إذَنْ ماذا ؟

الملكة : أخافُ عليك جيشًا

كمُركُومِ الحصى يُخْطى الحسابَا

وأخشى أن يقولَ الناسُ زوجى

غـداةَ ذهابِـه نسِيَ الإيابَا

الملك [لفانيس] :

فانيسُ صَفِّق و ناد يامعشـرَ القُـوّاد

[يدخل الحرّاس والقوّاد]

قمبيز [للقائد ميجا صاحب الأخبار] :

ميجا تعالَ

ميجا : لبّيْـكَ رَبِّى لك التحيات والسجودُ

الملك [للملكة] :

يا مَلْكَةَ الفرسِ ذاكَ ميجا يعلمُ ما يحشُدُ الوجودُ
خريطةُ الأرضِ فى يديه السفْنُ والخيلُ والجنودُ

الملك [لميجا] : ميجا تكلَّم ما حالُ مصرٍ ما الجيشُ فى مصرَ ما الحدود

الملكة : هاتِ ميجا قل تكلَّم

ميجا [فى اضطراب] : ملكَتِي

الملكة : ما الذى تدرى عن الجيش المجيدْ

ميجا : جيشُ مولاتى كالعهدِ به كاملُ العُدَّاةِ موفورُ العديدْ

الملك [فى غضب] :

هاتِ ما عندكَ من أخبارِه
واخْشَ أن تنقُص واحذَرْ أن تزيدْ

ميجا [مضطربا] :

يا إلهَ الفرسِ لا تبرَحْ فمِى
وأعِنِّى . كيف أُبدِى وأُعيد

[ثم للملكة] :

إن وردَ السلم من كسرتِهِ نسيَتْ أظفارَها فيه الأسود

واختلافُ الجُندِ فيما بينَهم أخذَ البأسَ وإن أبقِ الحديد
أصبح الجيش
[ويسكت قليلا]

الملك [لميجا] : تكلّم

الملكة : قل أينْ

ميجا : كالقطيع اختلفتْ فيه الجلود
حُشِرَ اليونانُ فى رايتِهِ وتراغى الزّنج واندسَّ العبيد
وغدا كُلُّ طريدٍ لم يجدْ سببَ الرزقِ أتى الجيشَ يصيد

الملكة [لنفسها] : والخيلُ يا ميجا هناك ؟

ميجا : قليلةٌ فى جيشِ مصرَ قليلةُ الفرسانِ

الملكة : أسدًا على الفتيانِ أينَ حماسهم قتلَ النعيمُ حميّةَ الفتيانِ

الملك [ملتفتا الى ميجا] :
مليكةُ الفرس ميجا قد اكتفتْ ببيانِكْ
نخذ مرازبةَ الفرسِ وامضِ ميجا لشانِكْ

نيتتاس : قمبيزُ ماشئتَ فاصنع إنى أراكَ مُصرّا
تُغيرُ أنتَ وتغزو ويحفظ اللهُ مصرا

قمبيز : وفارسٌ يا آبنةَ النيـ ـل ما لِفارس ذكرُ
نتيتاس : لا أيها الملك مالِي في غيرِ مهدِيَ فكرُ
قمبيز : نتيتاسُ اسمعى أنتِ تُسيئين إلى مصرا
غدًا يهلِكُ أهلُوها وتُمسى تحتهم قبرا
نتيتاس : وقاها منكَ آمونُ ولا اسطعتَ لها ضرّا
قمبيز : هذا التَّجنِّى كثيرٌ هذا لعمرى الغرورُ
لقد تحمَّلَ صدرى ما لا تُطيقُ الصُدورُ
[ثم مستمرا] : كفا عبثًا بسلطانى وبأسى كفى ما كان نا نيتاسُ منك
غدًا يتحدّثُ الرُكبانُ عنى ويروى الناسُ مايروون عنك

* * *

كذبتِ علىّ يا ابنةَ أبرياس حذارِحذارِ من بطشى وفتكى

* * *

أنا قمبيز بنُ كسرى أنا جبار الوجودِ
وأنا النارُ أصولِي وبنو النار جدودى
ويل فرعونَ ومصر من جنودى وبنودى

* * *

قمبيز [لنفسه] : رباهُ ويحى ويحَ لى رباهُ مالى لا أعى

ربَّاه ناراهُ ما الذى أجِدُ
كأنما النارُ فىَّ تتقدُ

يا نارُ كونى لى   أو رمازدُ كُنْ عونى

[ثم إلى نتيتاس] : انتظرى البطش يا بنتَ فرعون

أنا قمبيز بنُ كسرى   أنا وحشٌ أنا غولْ
لستُ بالعجل أبالى   وعلى النار أبولْ

قمبيز [لنفسه] : قد رجع الصفيرُ لى   يا ليته لم يرجعْ
ما بالُ عينى أظلمتْ   ما بالُ ساقى جمدتْ
أين الطبيبُ أزدشيرْ ؟

[ويغشاه الصراع]

الملكة [بعد أن يأتى الطبيب] :

هذا الطبيبُ قد حضرْ

[يدخل الطبيب ويطلب نقله]

الملكة [تدنو منه فى حنو وعطف وتقول] :

يا ويحَ زوجى ويحَه   هاجَ وعاده الصرَعْ
يا نارُ كونى حوله   أدرِكْهُ يا آمونُ رعْ

[يخرجون به]

فانيس : الآن نتيتاسُ تعالَىْ إلى الهُدَى

تعالَىْ إلى الرأى الصوابِ تعالِى

نتيتاسُ أنتِ اليومَ ملكةُ فارسٍ

بلغتِ الذُّرَا من سُؤددٍ وجلالِ

الملكة : ولكن أبى فانيس. لاتنسَ ما أبى

وجَدِّى وأنى بنتُ أصيدَ عالِى

فانيس : ولكن ألم يخلعْ أباكِ أمازسٌ

ويفتِكْ به فى ثورةٍ وقتالِ

ويجلسْ على كرسىِّ مصرَ مكانَه

ويخلُفُه فى جاهٍ أفادَ ومالِ

الملكة : أجلْ قد خلِعنا مُلكَنَا وتصرَّفَتْ

بنا سوقةٌ من جُندنا وموالِى

فانيس : إذَنْ فدعى قمبيزَ يثأر لزوجه

ويضربْ بيُمنَى أو يُصبْ بشمالِ

دعيه يعاقب سارقَ التاج مثلما
يُعاقَبُ فى منفيسَ لصُّ لآلِى

الملكة : تأمَّلْ وحقِّق من تخاطبُ يافتى

فانيس : أخاطِبُ عقلًا من وراء جَمالِ
لقد قلتُ قولًا ليسَ يأباهُ عاقِلُ
فلا تنظريني واسمعى لمقَالِى

الملكة : ولكن أمامِى صورةٌ من خيانةٍ

فانيس : وما لَكِ يا بنتَ الملوكِ وما لِى

الملكة : وأنتِ نِتَا ماذا ترَيْنَ؟

الوصيفة : خيانةٌ وأطماعَ قُوَّادٍ ولؤمَ رجال

الملكة : فديتُكِ من مصريّةٍ

الوصيفة : بل أنا الفِدَى لسيدتى من قدوةٍ ومثالِ

الملكة [لفانيس] :
أتسمعُ كلبَ الصيد؟

فانيس : حمقاءُ غرّةٌ وما لىَ ألقِى للحماقةِ بالِى

الملكة : عمّى لك يا فانيسُ وامشِ بلا عصا
ودونَ دليلٍ فى رءوسِ جبالِ
فانيس : لكَ الشكرُ مولاتى
الملكة : لكَ الويلُ من فتًى فإنكَ من معنَى المروءة خالى
أأوطِئُ خيلَ الفرسِ مهدى وملعبى
وتربةَ آبائى ومنزلَ آلى
وأشعلُ نارَ الفُرسِ فى أيكةِ الصِبا
وما بوأتْنى من رُبًى وظلالِ
وأغمدُ سيفَ الفُرسِ فى صدرِ أمةٍ
تمتنى وتمى أسرتى وعيالى
إذَنْ لا أوَى جدّى السماء ولا أبى
ولا جلَّ عمّى أو تباركَ خالى
وأفضلُ منى كلُّ ذاتِ ملاءةٍ
وراء حقولٍ أو وراءَ تلالِ
تهشُّ على شاةٍ وتحملُ جرةً
وتمشى على الوادى بغيرِ نِعالِ

[يدخل قبيز ثم الحاجب ويقول] :

إله الفُرس

الملك : ماذا ؟

الحاجب : ثَمّ رُسُلٌ أتَوْ مِن مصرَ بالنبّأ العظيم

الملك : وما يقولون ؟

الحاجب : يقولون أمازيسُ هَلَكْ

الملك : ثُمَّ ؟

الحاجب : يقولون ابْنُهُ بساميتك قد مَلَكْ

الملكة [لنفسها] :

مِصرُ ... رُسُلٌ ؟ ليتَ شعرى ما الخبَرْ

وطَنِي يا رَبِّ لا مسَّهُ بشَرْ

قبيز الملك [ملتفتا بالملكة والوصيفة] :

يا مَلْكَةَ الفُرسِ أصْغِي ويا تِيَّا هل سمعتِ

قد ماتَ فرعونُ مصرِ

الملكة والوصيفة [بصوت واحد] :

تعيشُ مِصرُ وتَبْقَى

« ستار »

الفصل الثالث

المنظر الأول

«الأميرة تفريت على ضفاف النيل تشكو إليه وتنتحر بأن تلق بنفسها فيه»

وَيحى لقد أودَتْ بىَ الأنانيه
عِشتُ فما أحبَبْتُ إلا ذاتيَه
ولا افتكرتُ بسوَى لذَّاتيه
حتى قذفتُ وطنى فى الهاويه
النيل . النيلُ بجنبى هاهيَه
أمواجُه تَهتِفُ بى مناديه

* * *

يا نيلُ يا قِوام كلِّ شئٍ
ومانحَ الحياةِ كلَّ حىِّ
هىَّ اغسلِ الذنبَ العظيم هىَّ

ثم تلق نفسها

المنظــر الثـانى

فى منفيس

« جماعة من المصريين والمصريات يتحادثون ويتذاكرون »
« بغى قمبيز وجنوده وبعض ما أصاب الناس من المصائب »
« من جراء الفتح الفارسى — فى ساحة من ساحات منفيس »

أحد الرجال [لزميل له] :

تعـالى يا (باطـا)　　قـل لى بالله
كيف ترى الحُكَّا　　كيف ترى الظُّلما

باطا : أصِخْ أصِخْ يا داذْ　　اسمع وكن عـونى
قمبـيز فى الظـلم　　بألف فرعون

[ثم لهجار]: وأنتِ يا هجارْ　　ماذا تقـولينا

هجار : آمونُ ذو المَنِّ　　يُبـقِ الفراعينا
الفُـرسُ فى مِصرَ　　طغيانُهم قـد زادْ
هُمْ صلبـوا التمساحْ　　على ضِـفاف الوادْ
وكلَّفـوا العصفورْ　　يمشى مـع الصيّادْ

[تقبـل امرأة مصرية بعجـوز]

فيقول أحدهم: وهذه دوباره

آخر : الشيخةُ الثرثاره

الأول : هلمّى يا دوبارا هاتِ اذكرى الأخبارا

دوباره : لا تسألونى ما الخبرَ مِصرُ ترى اليومَ العبرَ

لكن صَبِه حذارِ لا يدرينّ دارِى

* * *

عارضَنى الساعةَ فى طريقْ

فتًى مليحُ الحسنِ والبريقِ

يسألها سائل: مِن الجنود ؟

العجوز : لا ! من القوّادِ

عالى المكان ظاهِرُ الميلاد

آخر : وما أتى ما فعلا ؟

العجوز : عانقَنى وقبّلا

الأول : وأينَ ؟ فوق فمِك الدُّرى

آخر : أو مِن على جبينِك البدرى

* * *

آخر : أو فوق خدٍّ مثلِ روثِ البغلِ

الأول : أو فوق ذقنٍ مثلِ كعبِ النعلِ

* * *

العجوز : أهــذه نجـدتكُم يا فتيـهْ
أهـكذا تُحمَى بمصرَ النسـوه

* * *

يا أسفًا على القرونِ الخاليـَه
يا أسفًا على النفوسِ العاليـَه
[وتنصرف مغضبة مهرولة]

أحدهم [ويرى شخصا مقبلا] :
هذا أها ، من أينَ جئـ ـتَ ؟

ثانٍ : كيف أنتَ يا أهـا ؟

أها : من ضيعتى

الأول : وكيف هِى ؟

أها : قــد لَقِيَتْ ماساءَها

* * *

أوَزِّى كلّــه طاحَ وبَطّــى كلُّــه طارا
وأخــتى خُطِفت مِنى وزوجى جُــلِّلَتْ عارا

* * *

الجماعة : إذن لقــد آن أن نثُورَ نَطْـرُدُ قمبيزَ والجنـودا
الغابُ فى شِقوةٍ وبُؤسٍ فما الذى يُمسِك الأسودا

* * *

أحد الجماعة : خذوا حذركم أقبل الطاغيَة
مع الوزراء وفى الحاشيَه
وذا السيفُ فى يدِ جلّادِه
يُسَلُّ على الأرؤُس العاليَه

* * *

آخر : تلك مصائبَ وقدْ
صُبّتْ على هذا البلَدْ
امضُوا بِنَا امضوا بِنا
لِيَسمَعَنّنَا أحَدْ

« ينصرف المصريون و يدخل قمبيز فى وزرائه وقواده »
« ثم يقبل جنود يسوقون أسرى من النوب ... »

قمبيز : ماذا يَسُوقُ الجنودُ
مَنِ الوجوهُ السودُ؟
هذى عفاريتُ

وزير : لا . بل
مولاى هذى قرودُ

قمبيز : لكنّهم حيثُ دارتْ
رَحَى القتال أُسودُ
بلَوْنُهم فى القتالِ
لما حوَتْنَا الحدودُ

قائد : النوبُ جُندُ بِسَامَا

قائد آخر: بل هم أشَدُّ جنوده
وأثبتُ الجيش يومَ الـ
ـقتالِ تحتَ بنودِه

قمبيز : ياجُنْدُ حلوا عن الأسرى وثاقَهـمُ
خَلُّوا عن السُّودِ قد أعتقتُ أقرانى
ويابنى النُّوبِ مُلْكى لن يضيقَ بكم
من شاءَ فليبقَ فى مُلْكى وسلطانى
والجيشُ داركُمُ إن كان يُعْجبكُمُ
أن تَلْحَقوا بمُشاتِى أو بفـرْسانى

الأسرى النوب :

يا بنِي النـوب هَـلُمَّ رقصةَ الحربِ لكسرَى
سـيّدُ الأرضِ عفَـا عنّـا فنحنُ بأسرَى

« ثم يفك وثاقهم فيرقصون رقصة الحرب وينشدون »

النّـوبُ جيـلْ ، حُـرٌّ أصيـلْ ، يقضِى الديـونْ
نحنُ الأسـودْ ، حُمْـرُ الجلودْ ، حُمْـرُ العيونْ
لنـا لِبَـدْ ، من الـزَّرَدْ ، هى الحصـونْ
نغشَى القتـالْ ، ولا نُبَـالْ ، طعـمَ المنـونْ

* * *

نحنُ شعوبٌ وشِيَعْ وراءَ أسوانَ تقَعْ

عروشُنا من الجريدْ تيجانُنَا من الوَدَعْ

* * *

نحن قبيلَ الشُّلُكِ في العنجريبِ نتّكي

والصيدَ نهوَى والقَنَص ونَطّلِي بالوَدَكِ

* * *

للحربِ نمشِي الهرولَهْ نبعثُ فيها الجلجلَهْ

ممزوجةً بالولولَهْ

[وبعد الفروغ من الرقص يقبل عليهم قمبيز ويقول] :

قمبيز : زِه يا جُنودْ زِه يا أسودْ

[كبير النوب لخازن الملك] :

زِه زِه هاتِ النقودْ

[يدفع الخازن اليهم مالا فيأخذونه وينصرفون]

[يترآى فرسان ثلاثة] :

قمبيز : مَنِ الغُبار ؟

وزير : رُسُلُ

قمبيز : ما ذا إلينا حَمَلُوا

قائد : ها همُ قد ترجَّلُوا

[يقف الفرسان بحضرة الملك]

قمبيز : ماذا وراء الرُّسُلِ
أحدهم : الدعوات للملك
قمبيز : ماذا لديكم ما الخبَرْ؟
أحدهم : حوادثٌ ذاتُ خطَرْ
قمبيز : حوادث؟ قل أخا الهيجا تكلَّم
الرسول : بساميتكُ يا مولاىَ خانَا
الوزير الأكبر :
بَسامتيك خان؟
الرسول : أجل أميرى
قمبيز : وكيف؟ وما أتى؟
الرسول : نقَضَ الأمانَا
قمبيز : وما برهانُكم
الرسول : كُتُبٌ ورُسْل يُشيرُ بها القُرَى آناً فآنا
قمبيز : وهل وجدتْ دعايتُه سميعا وهل حلّتْ من الوادى مكانا
الرسول : أجابت دعوةَ المخلوعِ مُدُنٌ ومدنَ ما جعلنَ لذاكَ شانَا
قمبيز : وأين فرعونُ بَسْمَا
الرسول : فى منف يغدو ويروح

حُـرٌّ كما شئتَ له بين القصور والصُّروح
من معبـدٍ لمعبـدٍ ومن ضريحٍ لضريح
وحولَه كهّانُ منـ ـفيس يجرُون المسُوح
وكلّهم مشيرُه

الوزير الأكبر : بئس المُشيرُ والنَّصوح

آخر : من لم يكن كاهنًا فى مِصرَ أو مِلكًا
ولا تراه لهـذا أو لِذا تبَعَا
فلا تقيسنّ فى هـذى البلاد به
إلّا المواشىَ والأحجارَ والسّلَعَا

قمبيز : وزرائى ودهاقِينى انظروا انظروا ذلك فرعون «بسَّما»

الوزير الأكبر :
يدفعُ القوّادُ والجندُ بهِ وهو فى القيدِ يجرُّ الأدهَما

قائد : كادَ فرعونُ من استكباره أنفَهُ يدفعُ فى أنف السما

[فرعون يقف بين يدى قمبيز فى عظمة و إباء واستكبار]

قمبيز : بسامتيك

فرعون : قمبيز

قمبيز : أتدعو باسمه المَلِكا

فرعون : غدًا تَفقِدُكَ الفُرسُ ويخلُو عرشُها منكا
ومُلْكٌ قد مضَى عنّى سيمضى فى غدٍ عنكا

[قبيز يدخل فى الغضب شيئا فشيئا] :

قمبيز : وهذا الفتح يا فرعون ؟

فرعون : عدوان وإجرامُ
أما عندَك يا قمبيـزُ للنكبةِ إكرام

✧ ✧ ✧

قمبيز : عفوتُ عنكَ أمس يا بسَاما فلم ترْعَ الوفاَ

فرعون : يا عجبَا يا عجبًا عبدٌ عن الربِّ عفَا

قمبيز [هائجا] : خذُوه بالخناجر سلُّوا لسانَ الفاجرِ

فرعون [فى عظمة وصبر وثبات] :
هاتوا سيوفَ الفُرس هاتُوا القَنا
هاتوا المُدَى هاتوا حبالَ الحديدْ
لا تحْسبُونى بشرًا بائدًا فرعونُ حىٌّ خالدٌ لا يبيدْ

قمبيز : إذن خذوه بعيدَا صبُّوا عليه الحديدَا

« يأخذه الجند ويخرجون به »

[يدنو وزير شيخ من قمبيز ويقول له] :

القائد : مولاىَ تلك غضبةُ المقهورِ ونزوةُ الضرغامةِ المأسورِ
مولاىَ بالنارِ بقُدس النورِ اغفر لهذا الصارِم المكسور
فإنه ضحيةُ الأمور

قمبيز [صائحا بالجند وهم ذاهبون بفرعون بسما] :

إذن رُدّوا الأسيرَ إلى رُدّوا فإنّا ما انتهينا منه بعد

« يرجع الجند بفرعون ويقفونه أمام قمبيز »

قمبيز : تعالَ فرعون بسما تعالَ منى ناحيه
لقد عفوتُ مرةً وقد تكونُ الثانيه

فرعون : لا مرحباً أمسِ ولا الـ ـيومِ بعفوِ الطاغيه

قمبيز : تأمل هل لبستَ اليومَ ذلّا وكنتَ تجرّ أمسِ الذيلَ تيها

فرعون : كذا الدنيا تغيّرُ يابن كسرى نخفّها إنها لا خيرَ فيها
وهبك قهرتنى أقهرتَ مصرا

قمبيز : أجلْ ووضعتُ سيفى فى بنيها

وبعدَ غدٍ أطوّقها بنارٍ   تطوفُ على البلادِ وما يليها

وتجعل من هياكلها رَمادًا   وتُنزِلُ فى الأزقـةِ مُترفيها

وتـدعكُ فى ترابِ الذل أنفا

يطولُ على النجـومِ ويزدريها

فرعون: رويدَكَ يابنَ كِسرى قف تمهّل

فعادةُ مصرَ تقهرُ قاهريها

قمبيز: رويدَك أنت يا فرعونُ إنى

إذا حطّمتُ مصرَ فمن يَقيها

* * *

أليستْ فارسٌ والأرضُ تحـتى

وأمرى فى الجنوبِ وفى الشمالِ

وقد غطّتْ فضاءَ الأرضِ خيلى

وهبتْ فى السهولِ وفى الجبالِ

فرعون: شمخت بخيلك يا فارسىُّ   فماذا صنعتَ بخيلِ القدرْ

تأمّل مكانى وما حلّ بى   ألم تتّعظ بى ألم تزدجرْ

قمبيز : ما أنت يا مخدوع

فرعون : فرعونُ بسما

قمبيز : بل أنت مأسورٌ عليك قيودُ

وغدًا ينوبُ عن القصورِ ورُحْبِها

سجنٌ يضيقُ ومنزلٌ مسدودٌ

وتُدَسُّ فى الأجداثِ غيرِ محنَّطٍ

يلهو بهيكلِك البِلى والدُودُ

فرعون : قمبيز

قمبيز : فرعون بسما صلِّ ابتهل

واهتف لعلَّ العجل عنك يذودُ

أنظر إلى أينَ انحططتَ

فرعون : كذبتَ لَمْ

ينحطَّ للشرفِ الرفيعِ عمودُ

إن الجواهرَ فى التراب جواهرٌ

والأسد فى قفص الحديد أسودُ

قمبيز : سنرى هلموا يا جنودُ أسيرَكم
عودُوا به من حيثُ جئتمُ عودوا

قمبيز [مستمرا] :

وأينَ نفريتُ ابنةُ الكذَّابِ قد آن أن ينالها عقابِي

الوزير الأكبر :

نفريتُ من مخافة الحسابِ ألقتْ بنفسها إلى العُبابِ
وذهبتْ

قمبيز [ويضحك ضحكة جنونية] :

لكن بلا إياب

[تحضر نتيتاس وتقول] :

نتيتاس : قمبيز؟

قمبيز : نِتيتَّاس ؟

نتيتاس : أجَلْ

قمبيز : وماذا أتَى بِكْ ؟

نتيتاس : أتيتُ أنقذُ قومي وموطني من عذابِكْ

قمبيز : والزوجُ يا نتيتاسُ ؟

نتيتاس : وأنقِذُ الزوجَ أيضا

قمبيز [ساخرا] : ومِمَّ ؟

نتيتاس : من شدةِ البلاء وغضبِ الأرض والسماءِ

قمبيز [فى غضب] :

إذهبي يا بنتَ فرعونَ إذهبي

اعزُبى يا حيَّةَ النيل اعزُبى

فانيس : تأخرى سيدتى لا تعرضِى لغضَبه

قمبيز : فانيسُ أنت ها هنا

فانيس : مولاىَ لِى لم ينتبه

نتيتاس [متهكمة] : مولاكَ كم تخدعهُ

نتيتاس [متهكمة] : مولاكَ كم تسخرُ به

قمبيز [الى فؤاده] : أحقٌّ هو بى يهزأ

[ثم الى فانيس] : أحقٌّ أنتَ بى تَسخَرْ

وفى الأحلام تبدو لى وهذا الوجه لى يظهرْ

وقد يصفرُّ كالليمو   نِ أو يحمرُّ كالبنجر

[ويهجم عليه بالخنجر]

فانيس : أميرى سيّدى ملْكى

قمبيز [ويطعنه بالخنجر] : أغِثْهُ أيها الخنجرْ

[ضجة فى صفوف المصريين]

أحدهم : قد هلك الواشى

آخر : قد هلك الخائنْ

كافاه قمبيز   شرَّ المكافاةِ

فانيس [بعد أن يضربه قمبيز بالخنجر] :

آهِ من الخنجرِ ما أحرَّهْ   آهِ من الحِمام ما أمرَّه

[لقمبيز] : قمبيزُ شاتْ يمينُكْ   ولا أفاقَ جُنونُكْ

[لنفسه] : ويحى أرى عينى تغيمُ وساعتى

تدنو وأشعرُ بانقطاع فؤادى

الذنبُ لى أنا قدخرجتُ لفارس

ومنحتُ مجنونًا هناك ودادى

فانيسُ أنت نشأت جُنديا فمُتْ
كالجند والق مصارعَ القوّادِ
سيانِ حينَ نُحطُّ فى جوف الثرى
موتُ الفراش وموتةُ الجلادِ
يا نفسُ لم أحملْ عليكِ دنيّةً
لاقِ المنيّةَ بالضمير الهادى
يونانُ تغفرُ لى وآلهتى بها
سهِرتْ عيونُهم على أولادى
قد خُنتُ مِصرَ وخُنتُ ساداتى بها
لكننى ما خنتُ قط بلادى

أصوات [من جانب المصريين] :
فانيسُ لا علمَ لهُ بما جَرَى
قد قتلوا أولاده وما درى

[تظهر الجند يدفعون فتى فيقول قمبيز]

قمبيز : وهذا الفتى مَن ولِمْ سقتموه إلىّ
جندى : فتًى فى النواحى يرودْ
قمبيز : وما كان يأتى ؟

الجندى : يُثيرُ البلاد
ويُغْرِى القُرَى باغتيالِ الجُنودْ

قمبيز : تنحَّوْا به فاقطعوا رأسه عساهُ لأمثالِها لا يعودْ

نتيتاس [تسمع وهى متراجعة ضجة فتنظر فيستوقفها المنظر فتقول] :

ماذا رأيتُ وماذا؟ سمعتُ ؟ مَن يدفعونا
مَن ذا إلى النار ساقوا مَن أوْرَدُوا الأُتونا
تاسُ؟ أجلْ هو تاسُ أتوْا به المجنونا
قسا الجنودُ عليه والجُنْدُ لا يرحمونَا

* * *

ما بالُه عرف الوفاء وكيف ثابَ إلى الرّشاد
ربىَّ . أأشفعُ فيه؟ لا . لا كيف أمنعهُ الجهادْ
لا . لن تحولَ شفاعتى بين الضَّحيةِ والبلادْ

* * *

هذه ميتةُ عِزٍّ امضِ تاسُ بسلامِ
قد صفحنا لك عن ذا ك التَّجنِّى والأثامِ
لا تمُتْ بالكاسِ والطا سِ ولكن بالحُسامِ
سرَّنى أنك تقضى للحِمَى حقَّ الزِّمامِ

وشفانى أنك الـذا ئدُ عن مصرَ المحامي
زُلْ لتبق كودادى مُتْ لتحيَ كغرامي

[ثم تتراجع وتقول] :

والآن إلى طيبة والصعيدْ لحشر الدُّعاةِ وحشْد الجُنود
وقهْرِ العدوّ وإرغامِه وقذْفِ المُغيرِ وراء الحدودْ

[وتخرج]

[يستجمع تاسو ويقول ، وكأنما سمع ما قالت نتيتاس] :

عفت نتيتاس فيا مرحبا بك اليوم يا موت من زائرِ

قمبيز [إلى وزرائه] :

ما الرأى يا وزرائى فإننى لستُ أدرى
ماذا بأبناءِ مصرٍ من اختيالٍ وكِبْرِ

قائد : نحن بنو الشيطان وهم بنو الإنسان
ثان : والناسُ من طينِ السَّكَكْ وهم سُلالةُ المَلَكْ

قمبيز : أبىَّ لعمرىَ فرعونُ مِصرٍ ويُشبهه قومُه فى إباه
سأدعكُ فى التربْ آنافَهم وألصِقُ بالأرضِ تلك الجباه

ثالث : سيّدى لا تُبد رِفقا وامض فى الأعناق دقّا

ثان : واهدِم الأبْراجَ هَدْمًا واحرق الأجْرانَ حَرْقا
ثالث : ودَعِ الوادىَ قاعًا واحلق الشَّطَّيْنِ حَلْقًا

قائد رابع [عالى السن] :

سيدى بل تترفق فهو بالقادر أليق

قمبيز [يضحك ضحكة جنونية] :

خُذُوا يا قادةَ الفُرْس أخاكُم إنَّه جنَّا
قائد : أميرى خَرِفَ الشيخ فلُمْه أوْ لُمِ السِّنَّا

قمبيز [يغمد خنجره فى القائد الشيخ و يقول] :

خُذْ طعنةً فيها الشِّفا تَصرفُ عنكَ الخرَفَا

القائد [وهو يتلق الطعنة] :

يا ويحَه قد عادَه الجُنون بل أنا حين هجتُه المجنون

قمبيز : وأبيسُ معبودُهم أين هُو؟
قائد : هو العجلُ
ثانى : وهو الذى ألَّهُوا
وزير : ثَوَى العجلُ فى حُجراتِ الجلالِ
قائد : وقد نعَّمُوه وقد رفَّهُوا
الثانى : وليس إلهًا ولكنَّما على الشَّعب كهَّانُه موَّهُوا

أحد القائدين [لزميل له] :

هُمْ يعبدُونَ العجلَ يا أزدشر

أزدشر : يالك من أحمق ثرثار

ونحن ؟

الأول : النَّارُ إلهٌ لنا

أزدشر : ما الفرقُ بينَ العجلِ والنَّارِ

الأول : أفيلسوفٌ أنتَ ؟

أزدشر : بل ملحد

الأول : أنت؟ إذن عِشْ وامضِ بالعارِ

ما كانت النارُ بمحتاجةٍ إلى قليل الدِّينِ كفَّارِ

قمبيز : وأين هو العجل ؟

قائد : في قُبَّةٍ تليق لكسرى وآبائه

قمبيز [مغضبا مشيرا] :

أمسِكُوا الكلبَ خذُوه ، أدِّبوه

ما أبي العجلُ ، بل العجلُ أبوه

القائد : الويل لي جُنَّ

صديق له فى أذنه : ما جُنَّ إلّاكا
فأنتَ ساوَيتَ بالعجلِ مولاكا
آخر له : أهكذا يا أحمقَ السلوكُ أهكذا يُخاطَبُ الملوكُ

[يؤتى بالعجل ، فيثور لرؤيته جنون قمبيز]

قمبيز : والآن ماذا رأيتمُ وما الذى تُفتُونا
وما الذى نحنُ بالعجلِ يا تُرَى صانعونا
قائد : يَصُبُّ كسرى عليه من البلاءِ فنونا
آخر : علِّقهُ بين الأرض والسماءِ واتركهُ للغِربان والحِداءِ
آخر : إدفِنه فى الأرضِ حيًّا وهِل عليه التُّرابا
الأول : إذبحه ذَبحَ الخروفِ
الثانى : أخنقْه خَنقَ الدَّجاجة
آخر [يتهكم] : إصلبه فوقَ عمُودِ من هيكلِ المعبودِ
وزير : إحرقهُ مولاىَ بالنارِ
قمبيز : إخسأ فهذا أعظمُ العارِ
ماذا يقولُ الناسُ عنا غداً ألقوا إلى النيرانِ بالقارِ

قد دنّسوها وهى معبودُهم من جثّـةِ العجلِ بأقـذارِ

[ويظهر الغضب على قمبيز فيقول له قائل منهم] :

قائـد : مـولاىَ مـا ذاك فـارٌ بل ألفُ فـارٍ وفـارِ

آخـر : يا سـيّد الأرضِ أبشِرْ رأى الـوزيرِ أصابا

غـدًا يقـولونَ بمنْفيس تغـدت النارُ بأبيس

قمبـيز [مقتنعا ومقهقها] :

أجل غدًا يُقالُ فى الأخبارِ العجلُ قد باتَ طعامَ النّارِ

[ثم يقبل على أبيس ويخاطبه] :

إلهَ النيلِ لِمْ تغضَبُ لِمْ تَكسرُ جفنيْكا

تأمّلْ شَبَحَ الموتِ ألـمْ يبـدُ لعينيكا

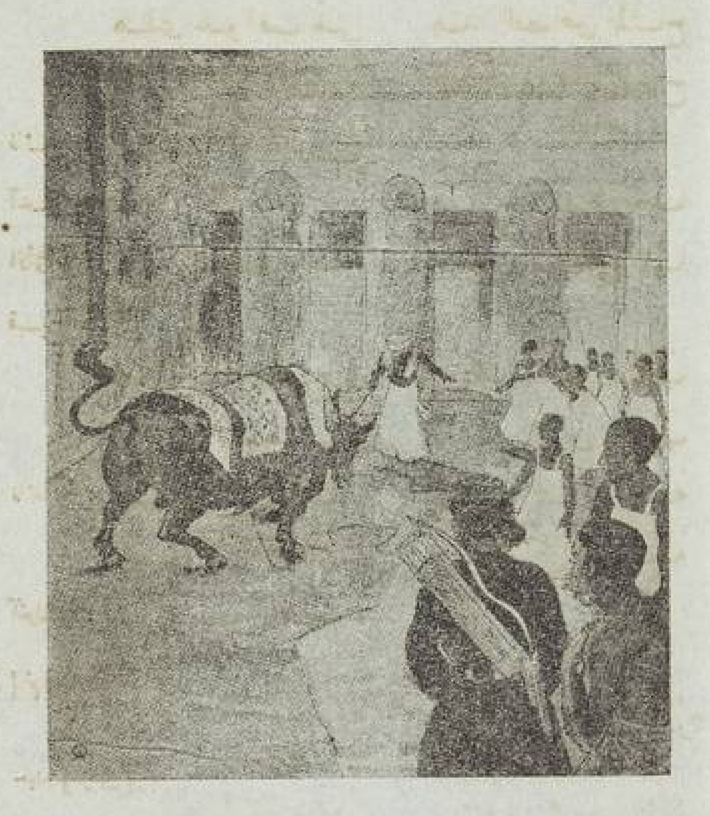
وهـذا خنجرى الماضِى نفُذه بينَ قرنيكا

[و يطعنه ثم يتراجع خطوة و يقول] :

إلهى ما تـرَى عينِى خيالاتٌ وأشـباحُ

وقتْلَى قـد غدوْا حـولِى وقتلَى غـيرُهم راحُوا

وجَـرْحَى جـذَبوا ثوْبى وجَـرْحَى غيرُهم صاحُوا



وهذا خنجرى الماضى نفذه بين قرنيكا

هـذى عـواقبُ بغىِ … هـذا القصاصُ المُتَاح
لا بُدَّ من عدلِ يوم … يـرتَـدُّ فيـه السـلاحُ

قائـد : ويـحَ لقمـبـيزِ

آخـر : … ويـحَ لـه جُنَّا

الأول : مَن يُقتـلُ اليـومَ … مَن الشَّـقِ مِنَّا

قمبيز [مستمرًا] :

هـذا أخى يصيحُ بى … وتـلك أختى تَنتَحِبْ
وآخـرٌ يسـأَلُـنى … أينَ دمى ؟ أينَ ؟ أجِبْ

قائد آخر : هـذا ضميـرُه صَحَـا … هـذا ضميرُه انتَبَـهْ
حـتى رأى آثامَـه … ولـم يكُن لها أبَـهْ

آخرلنفسه : ثـارَ بـه ضميـرُه … وما الضـميرُ حيـدَرُ؟

[ثم لزميل له همسا] :

حيدر [للزميل] :

سـريـرةٌ تنـدَمُ أحـ … ـيانًا وحينًا تزجُرُ
ويـرجعُ النـاسُ لها … إلا امرؤٌ لا يشعُرُ

الأول [رستم لحيدر] :

وأينَ منزلُ الضمـ ـير؟

حيدر : موضعٌ من الجسدْ

أنظُرْ . هنا يا رستمُ الـ ـقلبُ وها هنا الكبِدْ

[ويشير إلى أعلى الصدر وأسفله وإلى ما بينهما (المعدة)]

[ثم مستمرًا] :

وها هنا الضميرُ بيـ ـن القلب والكبدِ قعدْ

رستم : هنا الدّجاجُ والحمـ ـامُ ها هنا بلا عَددْ

حيدر : والبَطُّ أيضًا والأوَ زُّ والحمارُ والوتَدْ

وكلُّ ما تَسرِقُ أو تخطَفُ من هذا البلد

رستم : حيدرُ هل يُخترَعُ الـ ـضميرُ أو هل يُزدرَدْ

وهل له حوصلةٌ وهل له رِجلٌ ويَدْ

حيدر : يا أخى إنّ الضميرَ الـ ـنفسُ أو بيتُ الشُعورْ

وهو فيلٌ فى صدورٍ وهو فأرٌ فى صدورْ

وجبالٌ من حديدٍ أو حبالٌ من حريرْ

وسعيدُ الناسِ من لم يَشْكُ من وخزِ الضميرْ

قمبيز [يقوم هائجا وكأنما يفرّ من شبح شقيقه الذى قتله] :

ماذا بيَا ؟ ماذا بيَا هـذا شقيق بُرديا
هـذا شقيق بـرديا وخنجرى فى صدرهِ
جئتَ أخى تجزِى أخا كَ عن قبيح غدره

[ثم يزداد هياجا و يفرّ من شبح أخته التى قتلها] :

أتوسةُ أختى ألا تصفحين أتوسةُ زوجى ألا تغفرين

[ثم ينظر يمينا و يسارا وهو كالمجنون و يقول] :

آهٍ ليَهْ آهٍ ليَهْ ما هذه الزبانيَهْ
كتيبةٌ بموضع وعسكرٌ فى ناحيَهْ
وأرؤُس بوَهْدةٍ وأرجلٌ برابيَهْ
كلٌّ يصيح ردّ رو حى ردّ لى دمائيَهْ

قمبيز [مع الأشباح] :

ويلى من الماضى ومن أشباحه
هذى خيالاتُ الزمانِ الخالى
عجبُ العجائبِ ويحَ لى ماذا أرى
شبحٌ . أجَلْ شَبحٌ وطَيفُ خيال

✧

شبحٌ كالملَكِ الوا ق لِعينىَّ يلوحْ
شبحِ كالزنبقِ النا عِمِ يغدو ويروحْ
ظهرَ الحسنُ عليه وسرى الطيبُ يفوحْ

✧

تمثالُ نتيتاسَ حول مذاهبي أحبِبْ بنتيتاسَ والتمثالِ
ما بالهُ ألقى علىَّ سكينةً وأراحَ وجدانى وأنعمَ بالى
زوجاه نتيتاسُ ملكةَ فارسٍ
مالِى حُرِمْتُ حنانَ قلبِك مالِى
يا ليتنى لم أسمع الواشى ولم
أخرج حِيالَكِ من قديم ضَلالى
قد ساءَ حالِى فى غيابِك فارجعى
هيهاتَ بعدَكِ من يرقُّ لحالى
أأراكِ عندى والأمورُ رخيةٌ
وأراكِ عند شدائد الأهوال
بالله يا طيفَ الحبيبةِ قلْ لها خلفتُ قمبيزاً بأسوأ حال

صِفى لها تعساً كما شاهدتِنى
قد عادنى صرعى وجدّ خبالى
يا بنتَ مصرَ ويا يتيمةَ تاجها
عودى فداؤكِ دُولتى ورجالى

[ثم مستمرا] : طابَ وِردُ الحِمامِ يا نفسُ هيَّا
خنجرى خنجرى إلىَّ إليَّا

[ويطعن نفسه بالخنجر ويقع]

جماعة من الفرس :

يا فُرسُ يا قومَ كسرى — النّازلينَ السّحابا
كسرى مضى للنارِ — شُقُّوا عليه الثيابا
وحطّموا فى ثراهُ — سيوفَكُم والحِرابا

[كبراء الفرس يتشاقون الثياب]

أحدهم لآخر :

هاتِ ثيابَكْ — خُذ ثيابِى
تعالَ خُذ قميصى — وأعطِنى قميصَكْ

[يمزق كلاهما قميص الآخر]

مصرى من الحاضرين [لآخر همسا] :

أنظر أخى الفُرسَ وماثابهمْ   شَقُّوا على المجنون أثوابَهمْ

الكهان [لجماعة المصريين] :

يأيها المرضَى اسجدُوا   على دماءِ آبس

ويا أصحاء انهلُوا   من دمِهِ المقدَّسِ

بالشقاءِ جسَدٍ   فى دمِهِ لم يغمَسْ

المصريون يتشاقون الثياب :

فارسى إلى آخر :

أنظُرْ إلى أبناءِ مصـ   ـرَ فإنّ أمرهمُ عُجابْ

أنظر ألستَ تراهُمُ   شقُّوا على العجلِ الثيابْ

وزير فارسى [يخطب المصريين] :

أيها الكُهان من شتّى الرُّتَبْ

عَظُمَ الخَطْبُ فما تُغْنِى الخُطَبْ

إن كسرى تغفِرُ النارُ له

كان فى مَصرعِ أبِيس السَّبَبْ

أيها الشَّعبُ

حضرى لرفاقه : أميلوا إسمعُوا

كيف يُنْشِى المستبدون الخُطَبْ

الوزير [مستمرا] :

قد أتى قمبيزُ كسرى ما أتى

وهو مدفوعٌ بسلطانِ الغَضَبْ

حصرى [لأخيه بصوت منخفض] :

ليته بالَ على نيرانِكم بَوْلَةً تُطفِى لظاهَا واللَّهَبْ

الخطيب الوزير :

نحن لا نُسألُ عن فَعْلتِه

قد جنَى الرأسُ فما ذَنْبُ الذَّنَبْ

أيها الكُهانُ قد حلَّ على ربكم أبيسَ مقدورٌ غَلَبْ

[ثم ملتفتا بالشعب قائلا] :

مالى أرى من جانبِ الشَّعْبِ

بوادرَ الفِتنةَ والشَّغبِ

قائد فارسى : ما أغْضَبَ الشّاةَ من الجزّارِ

حذارِ حلمَ فارسٍ حذارِ

لا تقِفُوا لسيفِها والنّارِ

[تتفرق الجماعة هنا وهناك ويقف جماعة من المصريين فيقول أحدهم]

أحدهم [لزميل له] :

ماذا جَرَى ؟

زميله : أما تَرى؟ على الثَّرَى هذا الدَّمَا

آخر : آبِسْ عُقِرْ آبِسْ نُحِرْ ساءَ الخَبَرْ ما أشأمَا

الثانى : حامِى الحِمَى ما آستَسْلمَا لكن سَمَا إلى السَّما

آخر : لقد وهمتَ يا أخِى أفِقْ وراجِع الرَّشَدْ

أبِيسُ فارق الوتَدْ وسارَ رحلةَ الأبَدْ

الأول : العمَى يا أخِى العمَى اترك الأرضَ والدَّمَا

وتأمَّلْ معى السَّمَا اتَّخَذَ الجَوَّ سُلَّمَا

هو هذا تَبَسَّمَا وعلى الجَمْعِ سَلَّمَا

وإلى الخُلْدِ قد سَمَا

الثانى : عجيبٌ شأنُ أبيس لأبيسَ جناحانِ

وهذا الرِّيشُ من دُرَّة وياقُوتٍ ومَرجانِ

وهذا هو يرعاكَ بعَيْنيه ويَرْعانِى

آخر [لزميلين له] :

أنظر «أبى» أسمع «فتا» أبيسُ بالفُرس سخر
جُنّ قمبيز ولم يزل به حتى انتحر

شيوخ الكهان :

بُورِكتَ يا أبيسْ يا صاحبَ المجدِ
يا موضعَ التقديسْ ومنزلَ الحمدِ
سِرُّكَ فى منفيسْ وأنتَ فى الخُلدِ

شبان الكهان :

أبيسُ سِرْ للسماء وانزل مع الخالدينْ
وخلِّ تلكَ الدِّماء تُحاسِب المعتدينْ
أنتَ سماءُ الجلال حِمى الديارِ الأمينْ
القرنُ كالشمسِ طالْ وعزَّ فى العالمينْ
يا صورةً من فُتاخ ومن سناه المُبينْ
هذا شعاعُ الصباحْ أم غُرَّةٌ فى الجبينْ

« ختام »

نظرات تحليلية فى الرواية

١ - تمهيد

قصد «المؤلف» إلى أن يقيم دعائم الرواية على المعنى السامى الذى ينتهى إليه شرف الإنسانية. وهو التطوّع بالنفس إجابة لداعى الوطن فى ساعة العسرة. ولقد تراءت فى رواية «قمبيز» فكرة الفداء والتضحية بالنفس من أجل الوطن، وفى سبيل وقايته وسلامته. فمهما تنوعت حوادث «الرواية» واشتبكت مواقفها، وراعت مشاهدها فلست مستبقيا فى قرارة نفسك إلا إعجابا بالغا «بنتيتاس» تلك الفتاة الأميرة المصرية التى اختارها «المؤلف» رمزا للتضحية وصورة للفداء من أجل الوطن وذكرى الجدود ومهوى الأفئدة.

ولقد وفق «المؤلف» توفيقا كبيرا لأن يصوّر جوانب تلك النفس العالية، وأن يصبغها بالألوان التى تصبغ النفوس البشرية من غضب، وحقد، وهياج، وسكون، ورضا، وسخط، وحب، ووفاء، غير أنه استطاع إلى جانب ذلك أن يجعل فيها لون التضحية بالنفس والجود بها أسطع لون، وأبهر منظر. واستطاع أيضا أن

يشتق من تلك الفضيلة – فضيلة التضحية – جميع الخلال الكريمة من ودّ وتعطف وبر ورحمة . ثم أبان كيف يمتزج معنى الفداء بالنفس فتعظم النفس وتستحصد وتتغلب على جميع الهنات والنقائص البشرية .

وإنى لزعيم بأن كل مطالع لتلك « الرواية » سيرى أن قد اجتمع فيها : الحكاية ، وحسن الأداء ، وسمو المغزى . وسيرى أيضا أنها أشبه « ببرزخ » تلتقى لديه ينابيع الحياة . ثم تروق وتنجلى عن الحكمة الصافية ، والعظة البالغة وبينهما فضيلة إفناء النفس لحياة الوطن وتلك أسمى فضائل الوجود .

وإنى لزعيم أيضا بأن المتتبع للرواية إذ يخلص إلى نهايتها سيتردد فى تسميتها ! ! أيسميها رواية (قمبيز) أم رواية الضحية المصرية لإنقاذ الوطن المصرى ! !

٢ – لمحة تاريخية فى عصر الرواية

فى سنة ٥٦٩ قبل الميلاد كان يحكم مصر الأسرة السادسة والعشرون وكانت عاصمة الملك (منفيس) ومقرّ البلاط (صا الحجر)

وكان على العرش حين تبدأ أحداث الرواية (أبرياس) وكان ملكا قد اشتهر بالضعف السياسى فى الداخل والخارج . فما هو إلا أن أتيحت فرصة لبعض قواده واسمه (أمازيس) حتى نادى بنفسه ملكا على مصر فى أثنـاء ثورة عسكرية فى (ليبيا) وعاد بعد ذلك إلى مقر الملك فأنزل (أبرياس) عن عرشه وقتله ثم استوى هو على عرش مصر .

وكانت سياسته ترمى إلى الاستكثار من العناصر الأجنبية يحشرهم فى صفوف الجيش ويتخذهم عدة لنفسه وبخاصة طائفة الأغريق الذين اصطفاهم ليكونوا عونا له فى صد غزوات الفرس عن مصر .

ولقـد بالغ (أمازيس) فى اصطناع الأغريق ، وأوسع لهم فى جنبات الوادى ، وأقطعهم مدينة (نقراتس) فى الدلتا . فاصطبغت بالصبغة الأغريقية واستبحر عمرانها ، وراجت أسواقها التجارية ، وكان ذلك موثقا ومدعما ما بين (أمازيس) وبين الأغريق غير أن تلك السياسة قد ألبت عليه المصريين الذين رأوا سيل الغرباء

يتدفق على بلادهم ويتسرب إلى نواحى الحياة الاجتماعية والعمرانية والسياسية ، وفوق هـذا فقد صار جيش البلاد أوشابا وأخلاطا من زمر الشعوب ليس له بأس ولا لديه حمية . ولم يبق للمصريين أنفسهم مقـام فى صفوف الجيش فانصرفوا عن الجندية وشغلوا بالنعيم والترف والبذخ وامحت منهم روح البسالة التى كانت شعار الجندى المصرى .

✣
✣ ✣

فى ذلك العصر كان (قمبيز) ملكا على فارس وكانت عاصمته (سوس) وكان محبـا للغزو والفتح وكان لا يزال يطمح فى غزو مصر ويتربص بهـا الدوائر ليجعلها قاعدة حربية فى غزو بلاد الغرب ولا سيما (قرطاجنه) التى اشتمل نفوذها سـواحل البحر الأبيض المتوسط .

✣
✣ ✣

وتروى الأخبار هنا أنه قد خطب بنت (أمازيس) ملك مصر لتكون زوجا له . فلما زفت إليه وتبينها عرف أنهـا ليست بنت (أمازيس) فغضب وجنّ جنـونه ، وكان مصـابا بالصرع

والجنون المتقطع فما هو إلا أن شرع فى غزو مصر لينتقم من ملكها الذى خدعه .

ويروى مؤرخو الأغريق أنفسهم أن أحد الجنود اليونانية واسمه (فانيس) كان قد انتظم فى سلك الجيش المصرى وارتق إلى منزلة القواد . ثم أبت له نحيزته إلا أن يخون مصر وملكها ففر إلى فارس وأنهى إلى قمبيز خطة لغزو مصر وأبان له عن أيسر السبل لفتح البلاد فشرع يتأهب للغزو . وقبيل زحف الجيوش الفارسية وردت إليه الأنباء بموت (أمازيس) وتولى ابنه (أبسمتيك) على عرش مصر .

✦
✦ ✦

غزا (قمبيز) مصر برا وبحرا فهوجمت مدينة (الفرما) بحرا وزحفت الجيوش البرية وبعد مقاومة شديدة استولى الفرس على البلاد المصرية وأسر (أبسمتيك) وكان (قمبيز) أول عهده بالفتح متسامحا ، ولكنه عاد لحنق على المصريين فهدم المعابد والهياكل وقتل بيده العجل (أبيس) أثناء أحد الاحتفالات الكبيرة ثم مات بعد ذلك .

٣ — حوادث الرواية

أمكن «المؤلف» أن يحرص على وقائع التاريخ، وأن يؤدى حقه غير منقوص، ولكن تاريخ تلك الحقبة الغابرة لم يتأت له أن ينال من التمحيص العلمى، ولا أن يعنى بحياة الأشخاص الذين عاشوا فيه عناية تدع لهم فى نفوس الناس صورة كاملة الألوان، بل قنع واصفو التاريخ العتيق بصور يلق عليها الناس أبصارهم متعجلين لا يحققونها ولا يعرفون منها ما وراءها غير أن «مؤلف» رواية قمبيز تلقى العناصر الأولى للحوادث وللأشخاص وهو «شاعر» سرى الخيال، مرهف الاحساس ذو بصيرة نافذة وخبرة بالتصوير فما زال بحوادث التاريخ وأشخاصه يحللها ويفصلها، ويكمل ألوانها، وتبرز خصائصها ويذهب إلى ما وراء الظواهر فيتعمق فى الدراسة ليستخرج دقائق تلك الحياة النفسية والوجدانية التى اضطربت بها الأفراد والجماعات فأنشأت ما أنشأت من بطولة وغزو ونصر وهزيمة وحب وبغض وعقاب وفناء. ونستطيع أن نوضح ذلك بمثال من صنيع المؤلف :

تلق المؤلف عن التاريخ « أن قمبيز » العاهل الفارسى كان من القسوة والعنف ، وكان من الجنون المتقطع بحيث هانت عليه الدماء والأرواح ففى برهة واحدة من نوبات صرعه وجنونه يفتك بأخته وأخيه بعد أن يكون قد روى الثرى بدماء العالمين هذا إلى ما فتن به من الغزو والقهر وتوسيع رقعة ملكه شرقا وغربا .

تلق «المؤلف» ذلك عن التاريخ فما زال يبرزه بفصول الرواية فى شتى الصور، ومختلف الأشكال ، ولم يشأ أن تفارق شخصية « قمبيز » الحياة حتى يحضرها فى الساعات الأخيرة ما قدمته من سيء الأعمال ثم يشعرها بشناعة الآثام،ثم يريها كيف يكون تأديب الأقدار . لكل طاغية جبار .

وإذا تحدث التاريخ إلى « المؤلف » بأن المملكة الفارسية قد انبسطت رقعتها ، وترامت تخومها ومع هذا تمزق هذا الملك العريض شر ممزق وتقلص ظله وشيكا .

يتلق «المؤلف» ذلك ثم ينظر إليه النظرة الفاحصة الشاملة فإذا بتلك النظرة الشاعرة النافذة تجمع الأسباب والمقدمات وتجلوها فى ثلاثة أبيات من الرواية على لسان فارسى يقول :

ليت شعرى فلست أدرى الى أى بلاد « قمبيز » يدفع فارس
قد فتحنا الفضاء شرقا وغربا ... وملكناه من عباب ويابس
اتسعنا من الفتوح ! يقينا ... غير أنا لم نفتكر بالحارس

ففى الشطر الأخير ركز المؤلف رأيه فى سياسة الفرس الاستعمارية ، وأسباب فشلها وتعفية آثارها .

وبعد فالمؤلف «شاعر» وفضل الشعراء على غيرهم أن يبعثوا فى الحوادث حياة ، وأن يفرغوا عليها ضياء ، حتى يعض فى جنباتها ريق من النور فتبدو الحكمة ويبصرون الناس منها بما لايبصرونه .

٤ — الحياة المصرية فى عصر الرواية

استطاع «المؤلف» أن يصف الحياة المصرية وصف المؤرخ الصادق . وأن يصوّرها تصويرا دقيقا ، واستطاعت ريشته أن تلوّن ما دق منها وما جل فلم تقتصر على ما هو بارز وناتئ بل تجاوزت ذلك إلى ما هو باهت وخفى ومبهم . بل تعدّت ذلك إلى وصف النفسيات والأخلاق والعواطف المصرية .

وقد قدمنا أن سياسة «أمازيس» قضت بأن يستكثر من أخلاط الأجناد ولا سيما الفيانقة اليونان ، فكانت المظاهر الأغريقية من أجل ذلك تكاد تطغى على الأصباغ والأوضاع المصرية حتى استنكر المصريون تلك الحال ، وبرموا بها ومقتوها . وقد صوّر «المؤلف» ذلك على لسان مصرى فى الوليمة الكبرى يقول لصاحبه :

تأمل القصر «منا» وانظره أرضا وسما
أنظر تر الأغريق فيه هم لفيف العظما

ثم يقول مصرى آخر لصاحبه :

تأمل القصر «خوفو» أفيه من مصر شى
أليس فرعون فيه كأنه أجنبى
فأين حفار مصر وفنه العبقرى

وقد يبدو سخطهم على الأجنبى الدخيل فى حوار جرى بين فارسيين فى الرواية فأحدهما يطلب إلى صاحبه أن يصف له ما لقيه فى جولته «بمنفيس» فيقول :

... ... كيف وجدت البلد ؟
وكيف احتقارهم للغريب إذ قام فى شأنه أو قعد ؟
وكيف عيونهم حوله إذ حملته احتمال الرمد ؟

✣

وقد صوّر « المؤلف » ما يعتلج فى نفوسهم من هموم وآلام ، وما يخافون و يحذرون من إغارات الفاتحين ، وما يبدو على وجوههم من الريبة والشك فى هؤلاء الغرباء الذين ملؤا شعاب الوادى . فقال على لسان فارسى من رجال الوفد القمبيزى :

تأمل (قباز) القوم وانظر وجوههم
وجوه عليها للهموم سحاب
ألست تراهم كما تقلوا الخطى
لهم جيئة من ريبة وذهاب
وهم مع هذا كرام للضيفان ، لا يألونهم حفاوة وترحيبا :
ولكنهم ما قصروا عن ضيافة
طعام ونزل طيب وشراب

فخرهم بجنسهم : وشاء «المؤلف» أن يبرز ما عرف عن المصريين قديما من فخرهم بأنهم أبناء الشمس وأبناء الآلهة ، وأن هذا الخلق لم يفارقهم حتى وأن قعدت همتهم ، وأمحت بسالتهم :

لهـم مثـل ما للأسـد بالجنس عزة
ضوارى الفـلا عند الأسـود كلاب
هم الشهب . والناس الجنادل والحصى
وتبر الـثرى والعـالمون تراب

فنونهم وآدابهم : أما فنونهم وآدابهم وحضارتهم وسلوكهم « فالمؤلف » يصفها على لسان فارسى فيقول :

وكل الذى صاغوا من الفن آية ... وكل الذى قالوا هدى وصواب

وفارسى آخر يقول :

ولم أر مثـل صناعاتهـم ... سموا وبعـدا عن المنتقد
ولا مثـل أخلاقهـم مبلغـا ... من الفضل أو من خلال الرشد
إذا مر يافعهم فى الطـريق ... بشيخ تنحى لـه أو سجـد
... ...
وآثار فن تروع العقـول ... وأجسـاد موتى تعيش الأبد

الروح الحربي : كان الروح الحربي إلى ذلك العهد قد ضعف فى نفوس المصريين لكثرة ما اندس فى الجيش فى أخلاط الزمن حتى لم يعد جيشا مصريا على الحقيقة . وقد انصرف المصريون عن الجندية إلى حيث يستظلون بظلال الدعة والنعيم والرفه . فلما جاء وفد فارس قبل غزوة « قمبيز » وجاس خلال الديار لم يجد فى القوم بأسا ولا فروسية وإنما رأى فى الجند المصرى صورا وتهاويل وزخرفا يتزين بها حراس القصور لا حراس القلاع والثغور . وصف ذلك كله المؤلف وصفا دقيقا فقال على لسان الفارسى الذى جال « بمنفيس » حين سأله رفيقه :

ولكن (زفيروس) كيف الجنود؟ وكيف الحديد وكيف الزرد
وهل كنت تلقاهم فى الطريق وتنظر أظفارهم واللبد

فأجاب :

أخى ما رأيت بمصر الجند ولم يأخذ العين منهم أحد
سوى فتية من جنود القصور وضباطها فى الثياب الجدد
يروحون فى الخوذ اللامعات ويغدون فى الذهب المتقد

ويرد عليه الأول :

إذن هو ملك بلا حائط رقيق الأواسى ضعيف العمد
خلا الوكر من صرخات العقا ب ونامت عن الغاب عين الأسد
أولئك لا فى حماة الديار ولا فى العديد ولا فى العدد
طواويس فى عرصات القصور تروق تهاويلها من شهد

وقد أبدع المؤلف فأودع فى صورة شعرية ، وفى بيت واحد حالة المصريين الحربية على لسان « فانيس » الذى كان قائدا فى الجيش المصرى وخانه وفر إلى فارس :

إن ورد السلم من كثرته نسيت أظفارها فيه الأسود

ثم فصل تلك الصورة فقال :

حشر اليونان فى رايته وتراغى الزنج واندس العبيد
وغدا كل طريد لم يجد سبب الرزق ، أتى الجيش يصيد
وعلى لسان « نتيتاس » : — ... ... (قتل النعيم حمية الشبان)

تلك الحالة النفسية للجيش التى وصفها المؤلف أضعفت فيه روح المقاومة ، ومهدت للفتح كما رأى المؤلف ذلك فقال على لسان الواصف الفارسى لمصر :

فما أنت راء سوى جنة هى الخلد أو طيفه فى الخلد
يهب عليها غدا عاصف من الفرس انى تمشى حصد

جوّ مصر السحرى : مصر دار السحرة، وسحرها بهر العالم وجاء على الألسنة، وفى الأسفار حتى الكتب السماوية وقد استطاع «المؤلف» أن ينقلنا أثناء الرواية إلى جوّ كله سحر وصور ساحرة. وكان سبيله فى ذلك أن أظهر على ألسنة الوافدين من الفرس ما أحسوه فى أرض مصر، وما غمرهم من هذا الجوّ، الساحر. حتى لقد تحولت نفوسهم جميعا الى منبع من منابع السحر، وانطبعت فى أذهانهم خيالات الساحرين . فهذا فارسى يقول لصحبه وهم بمصر :

ياصحب كيف ترى تقضون ليلكم وكيف نومكم فى هذه الدار

فيجيبه صاحبه :

أما أنا فاذا استيقظت طوف بى شتى الخيالات من سحر وسحار
... ...
ولا تزال بى الأرواح طائفة مناجيات بألغاز وأسرار

وبلغ « المؤلف » أقصى ما أراده من جعل هؤلاء الفرس . وهم بمصر لا يستطيعون أن يصرفوا عن أنفسهم خيالات مصر السحرية لا فى يقظة ولا فى منام فارسى أراد أن يقص على رفاقه ما رآه فى نومه من تهاويل وأخيلة فما يكاد يبدأ فى قص حديثه حتى يسرى الرعب والخوف فى نفوس أخوانه من أن تحضرهم ساعة الحديث أرواح خبيثة وتستمع إليهم . ويقول له أحدهم :

صه تكلموا بهمس

فيبدأ صاحب الحلم فى صوت خافت يقول :

رأيت عصفورا برأسى إنس
أقبل حتى صار عند رأسى
فما ملكت عند ذاك حسى
ثم صحوت فوجدت نفسى
منطرحا أغط فوق الكرسى

ذلك بعض ما قصد إليه المؤلف من تصوير هذا الجو السحرى بمصر وقد وفق إلى إبراز تلك الصورة فى غير موضع من الرواية ، وكان توفيقه عظيما باهرا .

٥ – صور تحليلية لأهم أشخاص الرواية

قمبيز

طاغية جبار : أبرز « المؤلف » تلك الشخصية الجبارة السفاحة ، وأبرزها عنيفة قاسية إذ يقول «قمبيز» نفسه :

أنا قمبيز بن كسرى   أنا جبار الوجود
وأنا النار أصولى   وبنو النار جدودى
ويل فرعون ومصر   من جنودى وبنودى

ويقول :

أنا قمبيز بن كسرى   أنا وحش أنا غول
لست « بالعجل » أبالى   وعلى « النار » أبول

وإن تلك الصورة لترينا كيف تجرد هذا الإنسان من كل ما يقيد وجدان الشعوب على اختلاف نزعاتها وعلى تباين فهمها لمعنى العبادة والخضوع والاعتقاد ...

أما قسوته وشناعته فى أنفس الناس فقد تمثلت بمثل شتى ولكن يجمعها كلها الطغيان والجبروت . فهذا فارسى من رجال

وفده الذى بعث به ليخطب له بنت فرعون مصر . سمع أرجافا فى المدينة (أن بنت أمازيس عروس المليك تأبى المضيا) فصاح:

أتحت القبــة الزرقا ء من يســخر بالشاة ؟

ورفيقه يقول له :

من أمازيس ما الأميرة ما مصـ ـر أفى الأرض من «بقمبيز» يهزا

وما زال «المؤلف» يشكل تلك الشخصية شخصية «قمبيز» فهو تارة (وحش فى إهاب بشر) ثم يتحدث عنه المتحدث (أنه آدم بظفر وناب) .

صرعه وجنونه : كان له نوبات صرع وجنون تغشاه فتصدر عنه أفاعيل تقشعر لهولها الأبدان فهو إما قاتل أخاه ، و إما قاتل لأخته . وأراد المؤلف إبراز تلك الصورة فى أثناء الرواية إذ شرع يغتال أخاه وأخته فى ساعة جنونية .

وقد عظم الضجيج ، وعلا الصراخ ، وصاح المستغيث :

العفـو يا كسرى الصفح يا سلطان

أخوك . والنـار ومجـدها ما خان

وتقول الملكة : (يا أسفا عاوده جنونه)

اما عوارض الصرع ومظاهره وملابساته فقد بسطها المؤلف وألم بها وأخرجها ماثلة فى قول « قمبيز » ساعة حلول النوبة به :

قد رجع الصغير لى يا ليته لم يرجع
ما بال عينى أظلمت ما بال ساقى جمدت

وأروع ما صوره « المؤلف » ممثلا حال « قمبيز » بعد أن روى الأرض بدماء المصريين ، وعاث فى مصر فسادا ، وقتل معبودهم «أبيس» ثم جاءته النوبة فاذا هو يهذى و يقول :

إلهى ما ترى عينى خيالات وأشباح
وقتلى قد غدوا حولى وقتلى غيرهم راحوا
وجرحى جذبوا ثوبى وجرحى غيرهم صاحوا

⁂

هذى عواقب بغى هذا القصاص المتاح
لابد من عدل يوم يرتد فيه السلاح

و يروع أحد الواقفين منظر قمبيز :

ويح « لقمبيز » ويح له جنا ! !

حبه لنتتاس : وشاء المؤلف أن يطلع على ناحية من ذلك القلب القاسى ، فاذا بها عامرة بالحب مأهولة بالود . لزوجه « نتتاس » وليس ذلك ببدع فى سير الجبابرة القساة وقديما قال القائل :

قسا فالأسد تفزع أن تراه ورق فنحن نجزع أن يذوبا

شرح المؤلف هذا المعنى الذى كشفه مستقرا فى قلب «قمبيز» فهو يخاطب « نتيتاس » :

أما أحببتك الحب الذى أنت به أدرى
وفضلتك فى القصر على البيضاء والسمرا
وقدمتك فى الأزوا ج قبل الأخت من كسرى

إذن (قمبيز) كان يحب زوجه « نتيتاس » وما ساءه وجرح كبرياءه إلا أنها أخفت اسمها وحقيقة أمرها عنه . ولقد بقى هذا الحب حتى آخر ساعات (قمبيز) وهو يودّع الحياة، وتلوح له أشباح السعادة الماضية فيحقق من خيالاتها خيال «نتيتاس» التى هامت على وجهها إلى طيبة فيخاطب الشبح :

شبح الملك السوا … فى لعينى يلوح
شبح كالزنبق النا … عم يغدو ويروح
ظهر الحسن عليه … وسرى الطيب يفوح

* * *

تمثال نيتيتاس حوله مذاهبي … أحبب بنيتيتاس والتمثال
ما باله ألق على سكينه … وأراح وجدانى وأنعم بالى
زوجاه نيتيتاس ملكة فارس … مالى حرمت حنان قلبك مالى؟

الندم المرير : وعرض المؤلف لوصف أعقاب تلك الحياة التى ماجت بالبطش وأهدار الدماء وخيانة العهود ، فاذا صورة للندم المرير تجلى فى قول قمبيز :

ياليتنى لم أسمع الواشى ولم … أخرج حيالك من قديم ضلالى
قد ساء حالى فى غيابك فأرجعى … هيهات بعدك . من يرق لحالى

* * *

بالله يا طيف الحبيبة قل لها … خلفت (قمبيزا) بأسوأ حال
صفنى لها تعسا كما شاهدتنى … قد عادنى صرعى وجد خيالى

نيتتـاس

هى التى اختـارها « المؤلف » أميرة مصرية . رمزا لمعنى « التضحية » السامى إذ أرحضت حياتها ، وبذلت ما يضن به مخاطرة لحماية وطنها وحياطته . واختارها « المؤلف » أيضا بنتـا لفرعون مصر المقتول « ابرياس » الذى فتك به (أمازيس) الفرعون الجالس على العرش .

فى تلك الشخصية الخيرة أرانا المؤلف النفس الفاضلة يعرض لها ما يعرض للنفوس البشرية من هنات ونقائص ومع هذا فإن الذى يغمر تلك الهنات والنقائص ، ويطهر مكانهـا ، ويضعفها أو يمحوها هـو المعنى العلوى الأقدس — هو « التضحية » .

هذا المعنى ما زال « المؤلف » يبرزه ويوضحه ويؤكده فى النفوس كلما لاحت « نيتتاس » حتى ظفر بما أراده ، ووفق إلى ما قصد إليه .

فحيثما رأيت (نيتتاس) فى موطن من مواطن الرواية فثم قداسة الأوطان ، وثم فضيلة الفداء وهى الشىء الذى تشرف به الإنسانية ، وإنك لشاعر بحرب فى أعمـاق سرائرها بين ما اختصت به من

فضيلتها العليا و بين ما قد يعلق بالنفوس من حقد و بغض وكره ولكنك ترى الغلبة للفضيلة وترى نزوات الهوى ، ونزغات النفس قد تقلصت وغلبت على أمرها .

التضحية بالنفس : عنى المؤلف بأن يصوّر « نيتتاس » مثالا لها من أوّل الرواية إلى آخرها فهى تخاطب « نفريت » :

أتيت لأفدى بنفسى البلاد   وأرفع عن مصر شر العجم

وهى تخاطب فرعون أماريس :

جئت أفدى وطنى من   سيف « قمبيز » وناره
جئت أفدى وطنى من   دنس الفتح وعاره

وهى تردّ على تثبيط المثبطين لها أن تدع ملاعب الصبا ، وتسافر إلى الفرس :

ومالى لا أعطى الحياة إذا دعت   بلادى : حياتى للبلادى وملل

وهى وسط الضجة المرحة ، والكؤوس المترعة ، تخاطب نفسها :

أفيق بنت فرعون   فما يزكو بك السكر
... ...
ولكن بين جنبىّ   هوى أولى به مصر

وتقول (لقمبيز) وهى تصدّه عن غزو مصر :

تغـــير أنت وتغـزو   ويحفـظ الله مصـر

ويجيئها وهى بفارس رسل من مصر فتضرع إلى ربهـا قبل أن تعرف ما وراء الرسل وتهتف :

(وطنى يا رب لا مس بشرّ)

ويخـبرها (أمازيس) فرعون مصر قد مات وارتقى العرش ابنه (أبسمتيك) فتهتف :

(تعيش مصـر وتبـق)

ويحل الطاغية الفارسى بمصر فيهلك القائم والحصيد ، ويقتل ويبيد ، وإذ هو يقضى فى رقاب المصريين ، ويسومهم الخسف وسوء العذاب .

تواجه (نيتتاس) وهو فى سورة غضبه فيسألها ما جاء بها فتقول :

أتيت أنقـذ قـومى   وموطنى من عذابك

وآخر صورة من صور تلك (التضحية) الفريدة — أنها وقد استيأست من (قمبيز) ولم تجد منه ما تخاطبه من عقل أو فكر راحت هائمة إلى طيبة تثير النفوس ، وتجمع القرى وتقول :

والآن إلى طيبة والصعيد لحشر الدعاة وحشد الجنود
وقهر العدو وإرغامه وقذف المغير وراء الحدود

الضغينة والحقد : « نيتاس » بنت ملك . قتل أبوها خيانة وغدرا . وجاس قاتله على عرشه ، فليس عليها أن هى حقدت على قاتل أبيها ، وأسرت له الضغينة والحفيظة . غير أنها لم تكن مسرفة فى حقدها ، ولا طائشة فى عدائها بل شاءت نفسها الحكيمة أن تفدى عرش مصر وأن كان الجالس عليه قاتل أبيها .

تبدو حفيظتها على الملك (أمازيس) إذ تخاطبه :

ليس بين ابنة وساق أبيها غصة الموت من سلام ورد
إن حقدى عليك دين وبر رب لايذهب العقوق بحقدى

ويعجب بها فرعون إذ تقدمت للفداء فيتحبب إليها بقوله : (بخ ! بخ ! بنت أخى) فتجيبه (أنت يا قاتل : عمى ؟؟)

وتخاطبه مستهزئة : (تقتلنى مثل أبى) .

وتناديها (نفريت) ابنة الملك : نتيتاس أختى ؟

فترد قولها : أختها ما أضلها ! متى كان بيتى مجرمين وآلى ؟

الحب : أحبت (نتيتاس) أصدق الحب وأوفاه . فلم يشب هواها القديم (بتاسو) رثيث ولا وهن، أحبته إذ هى بنت فرعون القائم على العرش ولم تكن تدرى أنه :

يعشق الجاه والغنى   لا يحب الغوانيا

ولكنها رأته بعد أن حال حالها، وثل عرش أبيها يصطنع غراما جديدا بابنة فرعون الجديد (فتاسو) فى رأيها :

(... كالنحلة من زهر لزهر) أو
(... كالنعمة من قصر لقصر)

وهى تأسى على هذا الغرام القديم، وتنقم من (تاسو) هذا العبث بقلوب العذارى فتخاطبه :

لعبت بى فيما مضى عابثا   فالعب بغيرى اليوم كالعابث
أقسمت لى فاذهب فأقسم لها   فأنت أهل القسم الحانث

على أنها وهى تغاضبه وتعاتبه، وتحاول أن تسلوه وتنسى حبه ما برحت تشعر بوقدة الحب، وما برحت تناجى نفسها (بتاسو) وعهود (تاسو) . وتخاطبه على طول النوى، و بعد الشقة :

(إن غبت عن عينى فاذ   ت فى سوانح الفكر)

وتراجع وصيفتها التى تنهاها عن ذكر هذا الغادر :

(أنا أفديه يا نتا بحياتى وإن قتل)

ثم تعلن رأيها فى الحب بجلاء فتقول :

(ما الحب إلا التضحية)

إكبارها لزوجها : لما أبرز المؤلف تلك الصورة على خير مثال ، جمع فيها ما تشتت من صفات الكمال الإنسانى . (فتيتاس) وإن كرهت قساوة زوجها ، ونقمت منه غزوه لبلادها كانت معه مثال الزوج المنصفة فهى تكبر «قمبيز» إكبارا وتقول لوصيفتها :

صدقت نتا . هو زين الشباب إلـه القنا قمـر الغيهـب
إذا غلبت فى القتال الملوك وفى السلم عـز فلم يغلب
يسيطر كالشمس سلطانه على مشرق الأرض والمغرب

حزمها وعقلها : هى حازمة عاقلة فى الساعات العصيبة ، فلم يعزب رشادها وزوجها (قمبيز) يقذف بالحمم ، ويرمى بالشرر ليغزو مصر بل أخذته بالحكمة والاقناع وقالت له :

(عد إلى الرشد ما جنت مصر ياقمـ ـبيز ما ذنب أهلها الآمنينا)

ثم طفقت تصدّه عن الغزو وتنـذره عواقب الحرب ببراعة المنطق فهى تخاطبه :

(وأغبي الناس منشمر لحرب توقع أن يصيب ولا يصابا)

وبعد هـذا تصعب عليـه اجتياز الطريق إلى مصر وتثير فى نفسه التنبه والحذر فتقول :

(وأخشى أن يقول الناس زوجى غــداة ذهابه نسى الأيابا)

حنوها وتعطفها : فى ساعة الضنك والغضب وقد اشتدّت الملاحاة بينها وبين زوجها لم تغفل عن أنها زوج فجاشت نفسها بأنبل العواطف نحـو زوجها الذى جاءه الصرع وهو يغلظ لها فى القول فحنت عليه ، وأخذت تبتهل إلى الله بشفائه :

يا ويح زوجى ويحـه هاج وعاده الصـراع
يا نار كونى حوله أدركه يا آمون رع

فخرها بجنسها : أبرز «المؤلف» تلك الصفة فى «نتيتاس» فى مواضع شتى وهى بلا مراء صنو لصفة (التضحية) فإن إعجابها

بوطنها وتقديسها لأجدادها قد نمى فضيلة التضحية فيها من أجل الوطن والجدود فهى تارة :

(بنت الشمس بنت العواهل الأرباب)

وهى تتحدث عن نفسها فتقول :

(والدى فى السماء فهو إله) وتقول :

(أنا بنت الملوك أصلح للملك جدودى تملكوا العالمينا)

الإباء والعزة : لم يفارقها إباؤها ، ولم تند عنها عزتها إذا ما اجترأ عليها عظيم ولو أنه زوجها الجبار فإذا خاطبها متوعدا :

(احذرى أيها الفتاة انفجارى) أخذتها العزة فأجابته :

(انفجر. ما بى انفجارك ما بى)

وتعالج الوصيفة عزتها لإخضاعها وإذهاب غضبها وتقول لها :

اكظمى الغيظ يا أميرة ...

فتجيبها فى أنفة وكرامة وفى وجه « قمبيز » :

(... ... بل يخرج من حجرتى ومن محرابى)

نفــريت

ابنــة « أمازيس » فرعون مصر وهى التى أريدت على أن تكون زوجا « لقمبيز » ملك الفرس . فأبت أن تزف إليه وهى تعرف ما فى رفضها من الويلات والخطوب التى تحل بأرضها وأوطانها ، وقد أخرجها «المؤلف» صورة للأنانية والأثرة ليجمع أمامنا ما بين الصورتين صورة (نتيتاس) صورة الفداء المحبوب ، وصورة « نفريت » صورة الأثرة البغيضة .

الأثرة والأنانية : « نفــريت » تعلم أن قمبيزا أرادها زوجة له ، وأن فى رفضها المسير إليــه ويلات ونكبات تحل بمصر لكنها تقول :

(... ... اعتزمت البقاء وفى ظل هــذى الحجر)

ويتجلى استخفافها بالأمور وبعدها عن مثل الحياة العليا إذ تقول :

لتحسف بقوم عليها البلاد ليستأخر النيل أو ينفجر
فأما أنا فســأبق هنــا وإن غضبت فارس والتمر

المرح والعبث : وهى فتاة مرحة غريرة يلعب بقلبها (تاسو) خارس الملك أبيها كما لعب من قبل بحب (نيتتاس) فإذا رأت تاسو يتحدث إلى فتاة أخذتها الغيرة وشرعت فى تأنيبه :

تاس من أين ومن كنت من الغيد تحدث ؟؟

وهى تراه فتبدهه :

(تاســو هنـا . هات اسقنا ! !)

يقظتها وحكمتها : وهى إلى مرحها يقظة حكيمة . فقد أظهرها « المؤلف » مغلوبة على أمرها ، لنوازع صباها ، وضعف همتها . فإذا استيقظت إلى موقف (نيتتاس) بدت حكمتها تطرى ما فعلته الفتاة فتقول :

(لله ما أعظمهـا عندى وما أجلها)

ألم تصبر عن الوطن المفدى وتسمح بالديار والشباب

وترض بأن تزف غدا مكانى إلى النمر الأمير على الذئاب

خطيئتها وندمها : وبدت « نفريت » تعرض من أعمالها ما كان ذريعة لغزو بلادها وأسر أخيها (أبسامتيك) فندمت ، وراحت تعترف بأنانيتها وأثرتها :

ويحى لقــد أودت بى الأنانيه
عشت فما أحببت إلا ذاتيه
ولا افتكرت بسوى لذاتيه
حتى قذفت وطنى فى الهاويه

وقد شاء « المؤلف » أن يودّعها من تلك الحياة بالعطف الذى يغمر المنكوبين والنادمين فغسلها بماء النيل من أدران أنانيها :

يا نيــل يا قوام كل شئ
ومانح الحياة كل حىّ
هىّ اغســل الذنب العظيم هىّ

تاســـو

هو حارس فرعون ، وهو فتى يرى لذات الهوى فى التنقل ، فلها أوّلا بقلب (نتيتاس) ثم ثنى بقلب (نفريت) وقد صوّره المؤلف نمرا قصير النظر .

قصر نظره وغباؤه : وليس أدل على قصر نظره ، وضعف تفكيره ، وغباؤه من ظنه أن يكون له خلوات (بنفريت) فى قصر

(قبيز) بفارس بعد أن تصير زوجة له كما يلتق بها فى مصر وفى قصر أبيها ويعجب :

لم لا ؟ أليس فى القصور سعة نحن هناك مثل ما نحن هنا

وترده نفريت إلى صوابه :

(هذا الغباء منك تاسو عجب ليس المكانان على حد سوى)

ضعف همته : ثم هو ضعيف الهمة فقد كلفه فرعون ليجيب الوفد الفارسى الذى خطب يوم الحفل ابنة فرعون فلم يستطع الكلام واعتذر عنه :

(سيدى من أكون! مولاى عذرا)

قليل الوفاء : وهو يجازى وفاء (نتتاس) بالكفران والجحود، ولا يدرك جلالة الفكرة التى بعثتها على أن تدع بلادها، بل يتعجل بعدها عنه فيقول :

غدا تخلو لنا مصر غدا يصفو لنا القصر
غدا ترحل لا أرجو معها البر ولا البحر

تكفيره عن آثامه : تلك الصـورة المنكرة المنبوذة أراد « المؤلف » أن ينتهى أمرها إلى التكفير عن الآثام ، والندم على ما فرط ، فأحيا « المؤلف » فيها ما أماتتـه نزوات الشباب ، وغرارة الصبا ، وشهوات الجاه ودنسه ، واطلع منها آخر الرواية صورة (لتاسو) ناقمة حاقدة على الأجنبى المغير الذى يبطش فى مصر بطشا ، جعل (تاسوا) :

.. ... يثـير البـلاد ويغرى القرى باغتيال الجنود

فيفتك به (قمبيز) وقد رضى عنـه وطنه وصفح على لسان (نتيتاس) التى تراه يموت فتقول :

هـذه ميتـة عز أمضى تاسـو بسلام
قد صفحنا لك عن ذا ك التجـنى والآثام

كمُلَ طبع رواية "قمبيز" بمطبعة دار الكتب المصرية
في يوم الثلاثاء ٤ رجب سنة ١٣٦٥ (٤ يونيه سنة ١٩٤٦) مـ

محمد نديم
مدير المطبعة بدار الكتب
المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٥/٦٦/٥٠٠٠)